الديوان

الدستور

المحرر العام: محمد الباز

الأحد ١٣ أكتوبر ٢٠٢٤ | ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد
13

كيف خدع السادات العدو الإسرائيلى؟

محمد عبدالمنعم - محمد رفعت - محسن الفحام
محمد السيد صالح - أميرة ملش - محمد عبدالعزيز

يواصلون الكتابة عن النصر العطيم

محمد العسيرى:

مهرجان الموسيقى بين الهوى والهوية

محمود العسقلانى:

سيكولوجية الاستوزار فى عموم الديار

ياسر شورى:

أكاذيب حميدتى.. لماذا الآن؟

هؤلاء يكتبون عن الحرب على غزة ولبنان ووهم الشرق الأوسط الجديد

محمدعبدالمنعم

تعتبر حرب أكتوبر ١٩٧٣ واحدًا من أبرز الأحداث التاريخية التى شهدتها المنطقة العربية فى القرن العشرين. فهذه الحرب التى وقعت فى السادس من أكتوبر كانت نقطة تحول كبرى فى الصراع العربى الإسرائيلى، حيث تمكنت القوات المصرية والسورية من تحقيق نصر تاريخى على الجيش الإسرائيلى، الذى كان يُعتقد أنه لا يُقهر بعد حرب ١٩٦٧. الرئيس المصرى محمد أنور السادات قاد هذا الانتصار العظيم بأسلوب فريد من نوعه، مستخدمًا عنصرًا أساسيًا فى الحروب: «الخداع». كان السادات يعلم أن الجيش الإسرائيلى يعتمد على المعلومات الاستخباراتية بشكل كبير، وكان يتوقع أن إسرائيل ستفترض أنه من المستحيل أن تشن مصر حربًا فى ظل الظروف الاقتصادية والعسكرية المتردية بعد الهزيمة فى ١٩٦٧. ولذلك، عمل السادات على خلق صورة مضللة.

ذكرى نصر حرب أكتوبر وكيف خدع الرئيس السادات العدو الإسرائيلى؟

ذكرى نصر حرب أكتوبر وكيف خدع الرئيس السادات العدو الإسرائيلى؟

خداع السادات فى حرب أكتوبر

بدأ الخداع الاستراتيجى للسادات بتسريب معلومات مضللة عن عدم استعداد مصر للحرب، واستمرت التمويهات حتى اللحظة الأخيرة. كانت القوات المسلحة المصرية تقوم بتمارين عسكرية مكثفة، تبدو وكأنها روتينية، مما جعل الإسرائيليين يعتقدون أن مصر لا تنوى شن أى هجوم.

فى نفس الوقت، كانت هناك تحركات دبلوماسية على مستوى العالم، حيث بدا وكأن السادات يسعى لحل سلمى للنزاع. هذه التحركات جعلت إسرائيل تشعر بالأمان الزائف، لكن فى الواقع، كانت مصر تستعد لأكبر هجوم عسكرى مفاجئ فى تاريخها الحديث.

فى يوم السادس من أكتوبر، اندلعت الحرب عندما عبرت القوات المصرية قناة السويس فى هجوم مفاجئ ومنسق مع الجبهة السورية. تزامن الهجوم مع يوم «كيبور» «عيد الغفران اليهودى»، وهو اليوم الذى كانت فيه إسرائيل فى حالة استعداد منخفضة. هذه المفاجأة الكاملة أدت إلى انتصار مبدئى سريع وفعال للقوات المصرية والسورية.

فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، لعب وزيرا الدفاع المصرى دورًا محوريًا فى تحقيق الانتصار الكبير على إسرائيل واستعادة الكرامة الوطنية. قاد هذا الجهد كل من الفريق أول محمد أحمد صادق، الذى كان وزيرًا للدفاع خلال الفترة التحضيرية للحرب، والفريق أول أحمد إسماعيل على، الذى تولى وزارة الدفاع قبل بدء الحرب بوقت قصير وأشرف على التخطيط النهائى والتنفيذ.

الفريق أول محمد أحمد صادق:

محمد أحمد صادق كان وزيرًا للدفاع قبل الحرب، وكان له دور كبير فى إعداد القوات المسلحة المصرية وتطوير استراتيجياتها. كان مسئولًا عن تعزيز جاهزية الجيش المصرى وتحديث قدراته العسكرية، كما سعى إلى تطوير العلاقة مع القوى الدولية المؤيدة للقضية المصرية. رغم أنه لم يكن وزيرًا للدفاع أثناء بدء العمليات العسكرية، إلا أن إسهاماته كانت حاسمة فى الفترة التحضيرية.

الفريق أول أحمد إسماعيل على:

عُيّن أحمد إسماعيل على وزيرًا للدفاع قبل بدء الحرب فى مارس ١٩٧٣، ونجح فى قيادة القوات المصرية خلال المعركة. أحد أبرز إنجازاته كان التوافق مع الرئيس أنور السادات ورئيس الأركان سعدالدين الشاذلى حول الخطة الاستراتيجية للحرب، والتى تركزت على تحقيق عنصر المفاجأة من خلال عبور قناة السويس وتحطيم خط بارليف. كما تولى التنسيق بين القيادات المختلفة للجيوش، وعمل على تحقيق التعاون مع سوريا فى الجبهة الشمالية لتحقيق هدف تحرير الأراضى المحتلة.

إسماعيل أظهر قدرة استثنائية فى إدارة الحرب على المستويين العسكرى والسياسى، حيث كان عليه أن يتعامل مع تعقيدات الصراع الدولى والتوازنات السياسية فى الشرق الأوسط. كما أشرف على الجهود اللوجستية الضخمة المطلوبة للحفاظ على تدفق الإمدادات والأسلحة إلى الجبهات القتالية، بالتعاون مع حلفاء مصر، مثل الاتحاد السوفيتى.

دور وزير الدفاع فى إدارة الحرب:

الوزيران ساهما فى تكوين استراتيجية فعالة حققت مفاجأة استراتيجية على الجبهة الإسرائيلية، حيث تمكن الجيش المصرى من تنفيذ عملية عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف الذى كان يُعد أحد أكثر الخطوط الدفاعية تحصينًا فى التاريخ العسكرى. هذه الحرب غيرت وجه الصراع العربى الإسرائيلى وأكدت قدرة الجيش المصرى على استعادة زمام المبادرة العسكرية بعد هزيمة ١٩٦٧.

مقولة الرئيس عبدالفتاح السيسى:

«إذا كان الجيش المصرى عملها مرة فهو قادر يعملها كل مرة» فى أكثر من مناسبة، عبّر الرئيس عبدالفتاح السيسى عن فخره بحرب أكتوبر وبالجيش المصرى. وأكد أن مصر قادرة على تحقيق المعجزات كما فعلت فى حرب أكتوبر. من أشهر مقولاته فى هذا السياق هى: «إذا كان الجيش المصرى عملها مرة فهو قادر يعملها كل مرة»، فى إشارة إلى قدرة مصر على استعادة قوتها ومكانتها فى أى وقت.

تأتى هذه العبارة كتأكيد على روح العزيمة والإصرار التى يتمتع بها الشعب المصرى والجيش المصرى، وأن ما تحقق فى أكتوبر ليس مجرد ذكرى بل درس دائم بأن مصر قادرة على الانتصار حتى فى أحلك الظروف. وفى سياق هذه المقولة، يُفهم أن مصر ما زالت تحتفظ بروح أكتوبر التى تعتمد على التخطيط الدقيق، الخداع الاستراتيجى، والعمل الجاد لتحقيق الأهداف الوطنية.

وأخيرًا وليس آخرًا

سوف تظل حرب أكتوبر ١٩٧٣ علامة مضيئة فى تاريخ مصر والعالم العربى، ليس فقط بسبب الانتصار العسكرى، ولكن أيضًا بسبب الدروس القيمة التى تعلمها الجميع من هذه الحرب. الخداع الاستراتيجى للرئيس أنور السادات كان أحد أهم الأسباب فى تحقيق النصر، بينما تظل مقولة الرئيس عبدالفتاح السيسى تذكيرًا دائمًا بأن مصر قادرة على تحقيق المستحيل.

> فى أكثر من مناسبة، عبّر الرئيس عبدالفتاح السيسى عن فخره بحرب أكتوبر وبالجيش المصرى وأكد أن مصر قادرة على تحقيق المعجزات كما فعلت فى حرب أكتوبر

محمد رفعت

حقنا نحتفل بـ«أكتوبر».. لماذا؟

هل من حقنا أن نحتفل بانتصارات حرب أكتوبر ١٩٧٣، ونعيد الاحتفال بها كل عام رغم مرور ٥١ عامًا عليها؟ الإجابة بالتأكيد نعم، لأنه ببساطة هذه الحرب وهذه الانتصارات لم تتوقف عند يوم السادس من أكتوبر عام ٧٣، بل لأنها أكدت على عدة حقائق أولاها أن الإرادة المصرية لا يمكن كسرها، وأن إرادتنا ملكنا وحدنا.

وحقنا نحتفل لأننا أثبتنا للعدو ومن يقف خلفه أننا شعب لا يهزم وأننا نتخذ من هزائمنا دافعًا للانتصار ومن أخطاء الماضى وسيلة للعبور للمستقبل.

وحقنا أن نحتفل لأننا حققنا النصر بعقول مصرية خالصة وسواعد وجنود وأبطال مصريين من شباب وطن واحد، خرج من كل شبر فى مصر، فى القرى والمدن والمحافظات، مسلمين ومسيحيين، أغنياء وفقراء ومن متعلمين وأميين، كل أبناء مصر هم جنودها لا فرق بينهم فى حب الوطن والدفاع عنه بالروح والدم.

حقنا نحتفل بما حققه جيشنا على أرض المعركة، منذ وقوعها يوم ٥ يونيو غدرًا، وقد اعتبرناها بداية لمعركة وليست نهايتها، وبعد أن رفضنا الهزيمة وأسميناها نكسة، أى أزمة عابرة ولا بد أن نتجاوزها، وحقنا أن نحتفل لأننا حرمنا العدو من فرحته، ولم نمكنه من تحقيق أهدافه ولم نهنئه يومًا واحدًا بانتصاره.

حقنا أن نحتفل لأننا حققنا تنميتنا بما خططنا وبما نطمح، بنينا السد العالى، وأعدنا بناء قواتنا المسلحة وجيشنا القوى القادر على العبور وتحقيق الانتصار.

ومن حقنا أن نحتفل لأننا لم نتخل عن عروبتنا كما كان يحلم العدو ويطالب به طول الوقت، ولم نتخل عن فلسطين، وكانت الحرب سببًا فى اللحمة العربية وتجلت وحدتنا فى حرب الكرامة بمشاركة كل الدول العربية منها ٩ دول كان لها قوات على الأرض، ولعب سلاح البترول لأول مرة دورًا مهمًا فى حسم المعركة.

وحقنا أن نحتفل لأننا بعد أيام من الحرب استطعنا تدمير وحدات للعدو فى معركة رأس العش بوحدة صاعقة تسليحها خفيف لتكون بداية للمعارك الكبرى التى تلتها، وبعد أيام أخرى دمرنا لهم أهم قطعة بحرية يمتلكها العدو، وهيأت له سطحية عقليته وغروره أنه قادر على الاستعراض أمام سواحلنا ليتباهى بنصر زائف فأغرقناها أمام عينيه، وسمحنا له بأخلاقنا أن يلملم أشلاء قتلاه وإخلاء جرحاهم ليكونوا شهودًا على مذلتهم وإهانتهم.

حقنا أن نحتفل لأننا كبدنا العدو خسائر ستظل عالقة فى أذهان أجياله فى خلال حرب الاستزاف التى تسمى بـ«حرب الـ ١٠٠٠ يوم».

لم يتوقف صراخ العدو طوالها على ضحاياه وقتلاه وخسائره التى يكبدها له أبطال الجيش المصرى العظيم كل يوم.

وجن جنون العدو من أجل إيقاف حرب الاستنزاف، حتى إنه طلب الانسحاب من كامل أراضينا مقابل وقف هذه الحرب فلم نقبل وأعلناها «ما أُخذ بالقوة لا يسترد بغيرها»، لتتحول سيناء إلى مقبرة للعدو وتجربة مريرة سيندم عليها العمر كله ويفكر ألف مرة قبل أن يحاول تكرارها.

وحقنا أن نحتفل لأن العدو بحقارته ووحشيته حاول إجبارنا على وقف الحرب بضرب الأهداف المدنية فى العمق بالعدوان على نجع حمادى وبحر البقر وأبى زعبل، وفشل حتى حققنا النصر العظيم فى أكتوبر ٧٣.

حقنا أن نحتفل لأن العدو فشل وسيفشل فى الانصهار بيننا، بالرفض الشعبى لكل محاولات التطبيع، وظل العدو كيانًا شيطانيًا محتلًا لا يمكن قبوله بيننا طالما بقيت أرضنا العربية محتلة.

حقنا أن نحتفل لأننا استطعنا فى سنوات السلم أن نبنى جيشًا قويًا قادرًا على حماية حدودنا ومصالحنا فى كل مكان وأى زمان.

وحقنا أن نحتفل لأننا استطعنا أن نبنى بلدنا ونعبر به من هجمات الإرهاب الأسود الذى اختار سيناء لينتقم للعدو من جيشنا وخاض حربًا بالإنابه عنه، فقضينا عليه وعلى أحلام من دعموه وخططوا له.

حقنا أن نحتفل بأكتوبر العظيم لأننا نجحنا فى إسقاط كل المؤامرات التى تآمرت علينا بمسميات شرق أوسط جديد أو كبير أو حقير، فكلها مؤامرات استهدفت النيل من وحدة أرضنا وتماسك شعبنا. وحقنا أن نحتفل وحقنا أن نفرح برئيسنا الوطنى الذى حقق لنا الانتصار فى حروب الإرهاب والتنمية والاستقرار وأعطى للجيش المصرى القدرة ليكون أكبر قوة ردع فى الشرق الأوسط كله ويتفوق فى كل التصنيفات العسكرية على دولة العدو لأول مرة.. عاش جيش مصر العظيم وحمى الله بلدنا ونصرنا على أعدائنا.

كل التحية لكل من خطط وقرر ونفذ هذا العمل الكبير وتحية لكل من اجتهد وأبدع وكان سببًا فى نجاح هذا الحدث

محسن الفحام

نصر أكتوبر.. إرادة شعب

لم تأت دعوة الرئيس عبدالفتاح السيسى للعمل على بناء الإنسان وتنمية وعى الشعب المصرى واستحداث اختصاص جديد لوزارة الصحة وهو «التنمية البشرية» من فراغ.. فهذا الإنسان المصرى هو الذى تحمل هزيمة ١٩٦٧ وتداعياتها ورفض نتائجها أو الاستسلام للأمر الواقع، وصمم على استرداد الأرض المحتلة بالقوة ووقف خلف قواته المسلحة، وهو الأمر الذى أدى إلى رفع الروح المعنوية للجيش المصرى وصاحب ذلك عمليات إعادة تدريب أفراده وتوزيعهم على خط الجبهة والقيام بالعديد من العمليات العسكرية التى أكدت للعدو أن الشعب والجيش المصرى. لم يستسلما للهزيمة على الرغم من تحمل هذا الشعب الأصيل الكثير من المشاق كان من بينها تهجير سكان مدن القناة إلى أماكن ومحافظات أخرى ونقص الخدمات والمواد التموينية والغارات اليومية للعدو، كما شاركوا فى الدعم المالى لجيشهم من خلال التبرع للمجهود الحربى وشراء سندات الجهاد التى أصدرها البنك المركزى فى مارس ١٩٧٢ واستمر جهاد الشعب مع الجيش إلى أن تحقق النصر فى أكتوبر ١٩٧٣ وتحقق العبور العظيم على طول الجبهة، حيث كانت ملحمة قتالية تدور على كافة المحاور.. أما فى الداخل فقد تراجعت معدلات الحوادث والجرائم بشكل كبير وخلت سجلات الشرطة من الجرائم الجنائية، وكأن الشعب المصرى جميعه قد انصهر فى بوتقة واحدة كان الهدف منها تحقيق النصر مهما كانت التضحيات حتى أن هناك الآلآف منهم تطوعوا للانضمام للقوات المسلحة، معلنين استعدادهم للتضحية بأرواحهم للدفاع عن بلادهم.

نصر أكتوبر.. إرادة شعب

من هنا جاء استحضار روح انتصار أكتوبر ١٩٧٣ فى احتفالية خريجى الكليات العسكرية هذا العام، والتى أضاءت سماء العرض العسكرى غير المسبوق بصورة قائد الحرب والسلام الزعيم أنور السادات؛ لتعطى رسالة للعالم أن ما حققه الأجداد من رجال القوات المسلحة والشعب المصرى من الممكن أن يحققه الأحفاد إذا احتكم الأمر، مهما كانت التحديات التى تواجه الوطن وفى ظل ضغوط غير مسبوقة تتعرض لها البلاد خارجيًا وداخليًا، إلا أن القيادة السياسية لديها الوعى والدراية الكافية لما يحاك حولنا ومحاولات إقحامنا فى أى جبهة من الجبهات التى تحيط بنا شرقًا وغربًا وجنوبًا، ومن المؤكد أن الشعب المصرى أصبح يعى جيدًا ما يدور حولنا، وما يحاول البعض توريطنا فيه، وهنا كان من اللازم أن يهتم الرئيس عبدالفتاح السيسى بالعمل على توسيع أفق أبناء الشعب، وأن نتعلم من دروس الهزيمة والنصر وألا ننجرف وراء الدعوات التى تحاول أن تخلق نوعًا من الضغط الشعبى للتورط فى أى معركة من المعارك التى تدور حولنا ومن المؤكد أنها دعوات مشبوهة الغرض منها إحراج القيادة السياسية.

من الطبيعى أن الأجيال الجديدة لا تعرف شيئًا عن نصر أكتوبر أو روح أكتوبر سوى إنه يوم نحتفل به كل عام مع كلمة من رئيس الجمهورية وزيارة للنصب التذكارى للجندى المجهول وإجازة من العمل والدراسة، وهنا يأتى دور الإعلام الذى يجب أن يوضح مفهوم تلاحم الشعب مع قواته المسلحة، وأن يحرصوا على توضيح قيمة هذا الانصهار فى تحقيق الانتصار وأن يكون فى موضعه اللائق بين غيره من الأيام المجيدة فى تاريخ وطنهم، وإنه لولا تمرد الشعب على الهزيمة وتوحدهم فى مواجهة عدو مدعوم من بعض الدول العظمى فى العالم، لما كان لمصر تلك المكانة التى أصبحت عليها حاليًا على الرغم من الصعوبات الاقتصادية والأزمات الإقليمية من احترام وتقدير جميع دول العالم بل حتى من أعدائها، وأصبحت قبلة لزعماء العالم يلجأون إليها لمعرفة وجهة نظرها فى الأزمات والحروب الدائرة فى المنطقة، ويحترمون رؤيتها ويعملون على تنفيذها سواء من خلال المبادرات المختلفة أو القرارات والمواقف التى تتبناها فى المحافل الدولية.

يجب أن يعلم الشعب أن مصر أصبح لديها مخزون من الخبرات الدولية لا نظير له لدى أى دولة أخرى نتيجة للحروب التى خاضتها، وأيضًا نتيجة تواجدها فى منطقة شاء القدر ألا تخلو من النزاعات والحروب والاعتداءات والانقسامات وجميعها تدور جغرافيًا وتاريخيًا حول موقع مصر من الوطن العربى، ومع ذلك فهى دائمًا ما تسعى إلى نهج التسويات على إذكاء الصراعات، ولم تتهور أبدًا ولا تنساق خلف مغامرات غير محسوبة خارج الحدود، ولم تسقط فى أفخاخ نصبت لها، ولم تذهب للتعدى على سيادة أى دولة.

يجب أن يعرف الشعب أن مصر تمتلك حاليًا قدرات عسكرية ولوجيستية تمكنها من التحرك بسهولة وفاعلية خارج الحدود، بما يمكنها من الوصول إلى أبعد نقطة تمس الأمن القومى والمصالح المصرية إذا تطلب الأمر ذلك، ولكن صانع القرار الذى يملك كافة المعلومات والخطط والتخطيط الذى يحاك لنا لديه رؤية خاصة تختلف عن رؤيتنا جميعًا، ولديه ترتيبات لكل ما يطرأ من احتمالات وهو يمارس ثباتًا انفعاليًا لافتًا، بل ويحافظ على علاقات مصر الدبلوماسية حتى مع العدو ومع الصديق ويحتفظ بحقه فى الرد على أى تعدٍ على أمننا القومى بقوة قد تغير من شكل خريطة المنطقة بأكملها، شريطة أن يكون مدعومًا بشعبه المصرى وبثقته وثباته عند الضرورة، مثلما كان آباؤنا وأجدادنا يمثلون تلك القوة، وهذا الدعم لقيادته وقواته المسلحة إلى أن تم تحقيق الانتصار فى أكتوبر ١٩٧٣.

مازلت أتحدث هنا عن إرادة الشعب المصرى فى تحقيق انتصار أكتوبر ١٩٧٣ وأضيف إليه إرادته فى يونيو ٢٠١٣ لإسقاط حكم جماعة الإخوان الإرهابية ومازلت أتحدث عن هذا التلاحم بين القيادة السياسية والجيش والشعب وهو ما كان مفتاح الانتصار فى معركة العبور.. واليوم نحن نواجه أحداثًا خطيرة فى المنطقة العربية المحيطة بنا منذ ما سمى بمعركة «طوفان الأقصى» فى ٧ أكتوبر من العام الماضى، والتى كانت المبرر الرئيسى لإسرائيل فى القيام بحرب وحشية ضد الشعب الفلسطينى، وتسعى إلى تغيير وجه المنطقة العربية، حيث لا أجد أمامنا من سبل فى مصر سوى ضرورة الالتفاف حول قيادته السياسية، وأن نكون يدًا واحدة بكل فئات المجتمع دعمًا لأمان الوطن وجبهته الداخلية والخارجية.

إننا حاليًا أحوج ما نكون فى حاجة إلى إيقاظ روح انتصارات أكتوبر العظيمة، وإيقاظ مشاعر الولاء والانتماء والوطنية، خاصة داخل قلوب الشباب الذين لم يعاصروا تلك الانتصارات، كما أننا فى حاجة إلى تحمل الصعاب الحالية وتأجيج روح الصمود واستلهام روح حرب العبور المجيدة التى أعادت لنا العزة والكرامة فى نفوسنا جميعًا.

جاءت كلمة الرئيس عبدالفتاح السيسى فى احتفالية تخريج دفعة جديدة من الكليات العسكرية ليؤكد فيها، إن احتفال مصر هذا العام بذكرى نصر أكتوبر المجيد يأتى فى ظروف بالغة الدقة فى تاريخ منطقتنا التى تموج بأحداث دامية متصاعدة، تعصف بمقدرات شعوبها وتهدد أمن وسلامة بلدانها، وأن روح أكتوبر ليست مجرد شعارات وإنما هى أسلوب حياة لمصر وشعبها وجيشها يظهر وقت المحن والشدائد والأزمات لتبديد أوهام أى طرف، وأن ما تحقق فى انتصار أكتوبر سيبقى خالدًا فى ذاكرة هذا الوطن وعلى صفحات تاريخه المجيد، ويؤكد للجميع بأن هذا الوطن بتلاحم شعبه وقيادته وجيشه قادر على فعل المستحيل مهما عظم.. وسيسجل التاريخ بكلمات من نور أن مصر عزيزة بأبنائها قوية بمؤسساتها شامخة بقواتها المسلحة وشاهدة على قوة إرادة الشعب المصرى ودعمه الكامل لجيشه ووطنه مهما ثقلت الأعباء وزادت الصعوبات، وأن سلامة هذا الوطن ما كان لها أن تتحقق فى مواجهة التحديات التى مررنا بها على مدار السنوات الماضية لولا صمود هذا الشعب الأمين، ووحدته وتضحياته.. وستظل مصر بوحدة شعبها أكبر من جميع التحديات والصعوبات وسوف تستمر دائمًا شامخة محفوظة بإذن الله.

هكذا جاءت كلمة السيد الرئيس لتؤكد رؤيتنا أنه لولا هذا الشعب القوى الأبى ما تحقق لنا أى انتصار، وما كان لنا تلك المكانة فى عالم يموج بالحروب والخراب والدمار وإن اهتمام القيادة السياسية بالإنسان المصرى هو جوهر النجاح فى أى ظروف أو تحديات، وإن انتصارات أكتوبر قد تحققت نتيجة إرادة شعب.

يجب أن يعلم الشعب أن مصر أصبح لديها مخزون من الخبرات الدولية لا نظير له لدى أى دولة أخرى نتيجة للحروب التى خاضتها

محمد السيد صالح

«السرب».. و«الضربة الجوية»

هناك أفكار وبطولات كثيرة تصلح لكى يتحول إحداها لعمل فنى أو يتم تجميعها فى عمل واحد
قرأت مقالات ومنشورات لبعض الزملاء أنه فى ذكرى نصر أكتوبر المجيد، بعد ثورة يناير، توارى الحديث عن أدوار بعض القادة الذين كانوا ضلعًا مهمًا فى العبور العظيم.
بالطبع يقفز للمشهد مباشرة اسم اللواء حسنى مبارك، قائد القوات الجوية فى ١٩٧٣، «حصل على رتبة فريق فى فبراير ١٩٧٤» ورئيس الجمهورية بعد ذلك. وأقول لهؤلاء إنه طوال ٣٠ عامًا، هى مدة حكم الرئيس الأسبق، جرى اختزال حرب أكتوبر بما فيها من تخطيط وتجهيز وبطولات ومعارك.. ودراما وأفراح، فى الضربة الجوية فقط.

رغم أن ما تحقق على الأرض كان أعظم وأخطر بكثير. حتى المناهج الدراسية والأغانى والاحتفال بذكرى النصر، خلال حكم مبارك، كانت تؤكد هذا المعنى وتصدره للرأى العام بوسائل مختلفة. ثم إننى شخصيًا رأيت وحاورت عددًا من قادة نصر أكتوبر، بعضهم كان يسبق مبارك إلى منتصف صور مركز القيادة الشهيرة، وهم يحيطون بالقائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس محمد أنور السادات، خلال قيادة المعارك فى أكتوبر. رأيتهم يعيشون حياة هادئة ومتواضعة جدًا، رغم أدوارهم العظيمة للاستعداد الحرب أو قيادة المعارك. يتحدثون عما قدموه بكل تلقائية وبساطة وإنكار للذات. رحمة الله عليهم جميعًا.

ورغمًا عن هذه المقدمة التى طالت بعض الشىء، فإننى ما زلت أطمع فى أن نقدم عملًا دراميًا غنيًا- فيلمًا طويلًا أو مسلسلًا- عن الضربة الجوية خلال حرب أكتوبر، ودور القادة، بمن فيهم حسنى مبارك وكل الطيارين العظماء لتنفيذ هذه البطولة التى ما زالت معجزة عسكرية يتم تدريسها فى الأكاديميات الكبرى فى الداخل والخارج. هى أمنية، وددت أن تتحمس لها الجهات المسئولة، وأعتقد أنه كانت هناك خطط للتنفيذ، لكن جرى تجميدها بعد ذلك.

لم أشاهد فيلم «السرب» إلا يوم الأحد الماضى، واقتنعت، بعد أن انتهيت منه، بأن السينما المصرية وشركات الإنتاج الوطنية ومخرجينا قد تطوروا جميعًا لمستوى يؤهلهم لتنفيذ عمل فنى ضخم، ينافس الأفلام العالمية التى قدمت أعمالًا مهمة عن بطولات ومعارك شهيرة فى الحرب العالمية الثانية وغيرها. كانت لدينا روايات وقصص وحكايات جيدة عن حرب أكتوبر، تم تحويل عدد منها لأفلام عن معارك الاستنزاف ثم العبور، تكررها الفضائيات والقنوات المحلية كل عام. لها مكانة غالية فى قلوبنا لأننا نسترجع معها ذكريات الشهداء والأبطال.. وكذلك حكايات العائلات معهم أو عنهم. لكننى لا أريد فيلمًا عن الضربة الجوية لا يكون بالمستوى الفنى الذى تحقق فى أفلام مثل «بدور» أو «الرصاصة لا تزال فى جيبى» و«حتى آخر العمر».

مصر لن تفعل ذلك إلا لحماية حقوقها وتأمين شعبها ومقدراته وسبل حياته

لقد استوعبت الرسائل السياسية المهمة فى فيلم «السرب». كانت واضحة وخالية من الخطابة واللغة الحماسية، إلى حد كبير.

لكننى توقفت، وأنا أشاهد الفيلم على منصة «واتش إت»، عند جملة القائد وهو يوجه خطابه إلى الطيارين: «هذه أول ضربة جوية تنفذها طائرات مصرية خارج حدودنا منذ ٤٠ سنة. هناك طيارون مقاتلون تخرجوا واستقروا فى تدريباتهم.. ثم تركوا أعمالهم، ولم يشهدوا حدثًا مثل الذى ستنفذونه الآن بطائراتكم». كان الطيارون يستمعون وهم إلى جوار سرب الطائرات المقاتلة لدك معسكرات وحصون تنظيم داعش فى ليبيا فى مايو ٢٠١٧، بعد أن تغول التنظيم الإرهابى على حدودنا ونفذ عدة عمليات دموية فى عمق الأراضى المصرية، لكن أخطرها كان ذبح ٢١ قبطيًا مصريًا شرق ليبيا. كررت هذا المشهد أكثر من مرة. كانت الضربات ضمن سلسلة من العمليات الناجحة للقضاء على التنظيم فى سيناء وعلى حدودنا الغربية وفى عمق الأراضى الليبية.

هى رسالة مهمة للمستقبل، وأعتقد أن هذا اليوم هو تاريخ فاصل فى عقيدة الجيش المصرى. تزامنت مع ذلك خطط للحصول على طائرات مقاتلة حديثة تستطيع الوصول إلى أهدافها فى أى مكان والعودة بسلام. هناك تحديات كثيرة من حولنا ستحتم علينا، خلال الفترة المقبلة، اللجوء مرة أخرى لكى نكرر ما فعلناه مع دواعش ليبيا، مع قوى أخرى خارج الحدود. مصر لن تفعل ذلك إلا لحماية حقوقها وتأمين شعبها ومقدراته وسبل حياته. ومع كل هذا، أتمنى أن أشاهد عملًا فنيًا بقيمة «السرب» أو أفضل، عن الضربة الجوية، حتى لو جاءت فى سياق مختلف عن الذى أتمناه. هناك أفكار وبطولات كثيرة تصلح لكى يتحول إحداها لعمل فنى، أو يتم تجميعها فى عمل واحد. لقد حضرت مؤخرًا ندوات لطيارين أبطال، يتحدثون عن الضربة الجوية وكأنها حدثت بالأمس وليس قبل ٥١ عامًا. أمد الله فى أعمارهم ورحم من قضى نحبه من هؤلاء الأبطال.

أميرة ملش

أجمل أعياد مصر

٦ أكتوبر.. «فى ذلك اليوم ضاع أثر نصر ٦٧ النفسى، وضاع شعور أن الجيش الإسرائيلى لا يُهزم»، هذا ما قاله إيهود باراك، رئيس وزراء إسرائيل الأسبق، عن يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.. «باراك» كان واحدًا من أشهر قادة العدو الإسرائيلى، وكان قد تخرج فى جامعة بالولايات المتحدة الأمريكية فى هذا الوقت، وعندما سمع الأنباء والأخبار الكارثية بأن مصر عبرت القناة وانتصرت فى ساعات قليلة على إسرائيل، عاد على الفور، وذهب مباشرة إلى «الحفرة»، التى هى مركز قيادة القوات الإسرائيلية، وتُعرف بهذا الاسم.. حيث إنه كان قد أدى الخدمة العسكرية فى القوات الخاصة الإسرائيلية قبل ذلك وقبل سفره لأمريكا.

يقول إيهود باراك أيضًا إنه عندما ذهب إلى الحفرة، فى هذا اليوم، كانت الوجوه شاردة شاحبة كأنها مغطاة بالغبار، والحزن الشديد يسيطر على المكان، والجميع فى حالة ذهول وصدمة، ومنهم من كان لا يصدق ما حدث، ويضيف أن ذلك كان أشد لحظات الحرب قسوة.

وأعتقد أن الإسرائيليين حتى الآن لم ينتهوا من هذه الحالة، فهى تتجدد كل عام فى ذكرى نصر أكتوبر العظيم.. وهى صدمة تصل أحيانًا إلى حد الإنكار بأنه لم يحدث.. وأحيانًا بالتجاهل كأنهم فقدوا الذاكرة ونسوا ما حدث.

لكن الحقيقة واضحة كالشمس.. الحقيقة هى أن سيناء مع مَن اليوم؟ حتى حالة الإنكار تبددها حقيقة وضعية سيناء الآن، احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧، واليوم هى أرض مصرية، وهو أكبر دليل على الحرب وعلى هزيمتهم، وأكبر دليل على انتصار المصريين الساحق.. وفى الحقيقة التى يعرفها الإسرائيليون أكثر من أى أحد، أنه ليس إيهود باراك فقط الذى تحدث عن هذا اليوم، لكن العديد من القيادات والمسئولين آنذاك، ومنهم على سبيل المثال موشيه ديان، وزير الدفاع، وصرخة جولدا مائير الشهيرة لأمريكا، بأن المصريين سيدخلون تل أبيب، يقال إنه بعد نكسة ٦٧ واحتلال سيناء إن كل بيت فى مصر كان فيه شهيد أو أسير، وقد يكون هذا القول دليلًا على ما شعر به الشعب المصرى من إحباط شديد قد يفوق مشاعر الحزن، وفقدان للأمل وضياع المستقبل، كان هذا الوضع كفيلًا بضياع بلد بالمناسبة. كانت القيادة السياسية والعسكرية العبقرية طوال ٦ سنوات، وهى فترة احتلال سيناء، تبرز هذه المشاعر السلبية، وتروج لها وكان هذا جزءًا من خطة الخداع الاستراتيجى لإسرائيل.. فقد صدقوا فعلًا أن المصريين لن تقوم لهم قائمة مرة أخرى، وأنهم انتهوا تمامًا.. فقد بدا لهم أن كل أحلامهم القديمة والحديثة ستتحقق، واستقرت لهم الأمور فأصاب العدو الإسرائيلى الغرور المقصود والشعور بالأمان الوهمى، وكان هذا هو المطلوب.

لكن على الجانب الآخر كان المصريون قد أفاقوا من هذه الصدمة سريعًا جدًا، وصمموا على استعادة ما أُخذ منهم، فجمعوا شتات أمرهم وأوجعوا عدوهم بضربات كثيرة وقوية فيما عرف بحرب الاستنزاف، التى كانت استعدادًا وإعدادًا لحرب أكتوبر، كان رهان الإسرائيليين على حزن وإحباط المصريين خاطئًا للغاية، لأنهم لا يعرفون الشعب المصرى الفرعونى الأصل، الذى لا يستسلم ولا يترك حقه ولا يتنازل عن شبر من أرضه، والذى يتحول إحباطه فى لحظة إلى عناد وإصرار وشجاعة. كان الشعب المصرى فى الشارع يصدّر لهم الاستسلام والإحباط، والقيادة العسكرية والجيش يخططان للحرب على الجبهة، ويتدربون ليلًا ونهارًا استعدادًا ليوم الفرح يوم النصر، مستغلين نشوة الصهاينة بالنصر بما حققوه فى ٦٧، فى مصر أعياد كثيرة منها الأعياد الدينية والاجتماعية، لكن أعتقد أن عيد نصر أكتوبر هو أجمل أعياد مصر وأكثرها عزة وشموخًا.. وعلى مر الأجيال تترسخ المعجزة التى قام بها الجيش المصرى فى هذه الحرب، وتترسخ البطولة والقوة والشهامة المصرية الخالصة، يتجدد كل عام الإحساس بالأمان والاطمئنان بأن لدينا جيشًا قويًا يحمينا ويدافع عنا، وهى نعمة كبيرة من الله «عز وجل» على هذا البلد الأمين، فعلى بُعد خطوات دول تعانى وتنهب ويقتل أهلها ويشردون ويهجرون؛ لأنه لا توجد عندهم جيوش وطنية من خيرة أبنائهم تحميهم.. وقد تدفع البلاد العريقة الآن ثمن وجود ميليشيات على أراضيها تورطها فى حروب خاسرة وقاسية ولا تستطيع حتى الدفاع عن نفسها أو عن قيادتها.

> مصر على استعداد دائمًا لأى حرب إذا لزم الأمر، لكنها تسعى للسلام فى كل وقت

وفى رسالة قوية وكاشفة للجميع قام الجيش المصرى، فى إطار احتفالات نصر أكتوبر هذا العام، وبحضور رئيس الجمهورية عبدالفتاح السيسى.. باستعراض قوة وتطور الجيش فى اصطفاف تفتيش حرب الفرقة السادسة المدرعة بالجيش الثانى الميدانى بمحافظة الإسماعيلية، ما يعكس جدية الاستعداد القتالى على أعلى مستوى للقوات المسلحة المصرية لردع أى تهديد، وهى رسالة للشعب المصرى أن يطمئن؛ لأن لدينا جيشًا عظيمًا قويًا وقادرًا، ورسالة للخارج أيضًا ولكل المتربصين بمصر، بأن القوات المسلحة تملك تشكيلات مدرعة من أقوى التشكيلات العسكرية فى العالم، وأن جيشنا على أعلى مستوى من الكفاءة القتالية والفنية، وأن مصر على استعداد دائمًا لأى حرب إذا لزم الأمر، لكنها تسعى للسلام فى كل وقت.

محمد عبدالعزيز

بل هى «سكة» حياة

فى إطار احتفالات مصر بالذكرى الحادية والخمسين لنصر أكتوبر العظيم، وكما هى عادة الحكومة المصرية منذ تولى السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى سدة الحكم فى البلاد، فاجأتنا الدولة المصرية بنبأ عظيم لم نشعر به إلا بعد أن اكتمل وصار واقعًا وليس مجرد حلم أو أمنية. إنه عودة الحياة لسكك حديد سيناء بعد توقف إجبارى استمر لنحو ٥٧ سنة. بالفعل أسعدنا إعلان بدء التشغيل التجريبى للمسافة بين الفردان وبئر العبد بطول ١٠٠ كيلومتر، وسط سعادة بالغة تابعناها على وجوه أبناء سيناء الذين أتيحت لهم مشاهدة بدء التشغيل بحضور نائب رئيس الوزراء وزير الصناعة والنقل الفريق كامل الوزير. وقد تابعنا احتفال أهلنا فى سيناء بعودة حركة القطارات، إذ وقفوا بالأعلام وباقات الورود صغارًا وكبارًا على محطات القطار فى انتظار أول قطارات الركاب التى عادت تقطع الصحراء لتقطر خلفها مزيدًا من الخير والرزق الوفير.

جاء هذا المشروع الضخم ليمثل دليلًا جديدًا على حرص الدولة المصرية على دعم سيناء واعتبارها رقمًا مهمًا فى خريطة المشروعات التنموية التى تقوم بها فى كل ربوع الوطن. بالطبع هو أكبر من مجرد طريق حديدى قديم- جديد يربط سيناء بالوادى والدلتا، إنه شريان حياة يؤكد للقاصى والدانى أن سيناء هى جزء من قلب مصر لا ينال فقط اهتمام ورعاية القيادة بل إنها تعتبره أحد أهم أبواب الخير والرفاه الاقتصادية بما تستهدفه الدولة من مشاريع جادة وعملاقة فى عمق سيناء مدنًا وصحراء، حضرًا وبادية. مشروع يسهم فى إنجاح خطة الدولة لتحقيق التنمية العمرانية بسيناء وزراعتها بالبشر، تنمية عمرانية تضمن لنا استمرار ما حققناه من استقرار لشبه جزيرة سيناء بعد مسيرة أعوام طويلة حققنا فيها الاستقلال ثم القضاء على الإرهاب سعيًا نحو التنمية الشاملة.

خطوة أراها فى غاية الأهمية تتحقق بها كامل الاستفادة من خيرات سيناء كالرمال البيضاء ومصانع الأسمنت بما يعظم الاستفادة من الموارد الطبيعية والمواد الخام وإنشاء مشروعات صناعات قيمة مضافة بما ينتهى إلى تحقيق التنمية المستدامة لهذه المنطقة الأقرب إلى قلوب كل المصريين. وأنا لا أبالغ فى وصفى هذا، ففى كل عائلة من أقصى شمال مصر إلى أقصى الجنوب هناك شهيد أو محارب ضحى على أرض سيناء وبذل جهدًا وعرقًا وربما الدم أيضًا دفاعًا عنها، بل هو الدفاع عن كرامة مصر كلها وأمنها القومى، ولهذا فهى المنطقة الأقرب إلى قلوب كل أبناء مصر.

> فى كل عائلة من أقصى شمال مصر إلى أقصى الجنوب هناك شهيد أو محارب ضحى على أرض سيناء

وما تم افتتاحه مؤخرًا هو خطوة أولى ننتظر بعدها وبشغف شديد توصيل خط السكك الحديدية من بئر العبد إلى العريش، وهو ما يُتوقع الانتهاء منه خلال عام أو عام ونصف العام من الآن، ثم العمل بعد ذلك ليصل الخط الحديدى إلى طول إجمالى حوالى ٥٠٠ كم، محققًا الربط الحديدى بين العريش وطابا، وما أدراكم ما طابا، فتلك ملحمة مصرية أخرى استخدمت مصر فى معركة استعادتها سلاحًا من نوع آخر هو سلاح التفاوض المبنى على العلم والوثيقة وقوة الحجة القانونية.

تحية تقدير لكل يد طاهرة دافعت عن تراب سيناء وكل المحبة لهؤلاء الرجال الذين أعادوا الحياة لمشروع سكك حديد سيناء بجهد كبير وبتكلفة غير قليلة، لكن كل جهد يهون وكل مال يرخص أمام الحفاظ على تراب الوطن وحسن استغلال مقدراته. أحيى كذلك وفاء السيد الرئيس عبدالفتاح السيسى للقيادة التى استعادت سيناء بقرار الحرب قبل ٥١ عامًا، فلم يترك سيادته مناسبة إلا وأقر بالفضل لأصحاب الفضل من قادة وضباط وجنود بل ومدنيين. ونحن بدورنا ندين بالشكر لسيادته وللحكومة المصرية التى تؤكد سيادة مصر على كل شبر فيها وتحمى مقدراتها بالغالى والنفيس. وقد أكد السيد الرئيس، خلال متابعة سيادته اليوم لتفتيش حرب الفرقة السادسة المدرعة بالجيش الثانى الميدانى، أن «الحرب استثناء ولكن الحالة العامة هى السلام».

أسامة عبدالرؤوف الشاذلى

فى مطلع الثمانينيات، وتحديدًا فى فبراير عام ١٩٨٢ نشرت مجلة الاتجاهات «كيوفنيم» العبرية، المعنية بالدراسات الاستراتيجية، مقالة علمية عرفت باسم «خطة ينون» أو «Yinon Plan»، التى كتبها عوديد ينون، المستشار السياسى الأسبق لرئيس وزراء إسرائيل حينها أرييل شارون.

قراءة فى تاريخ فلسطين: التوراة ودولة إسرائيل الكبرى

6

تتحدث هذه الورقة البحثية عن مستقبل إسرائيل السياسى، وضرورة وضع خطة لضمان استقرار إسرائيل من خلال سياسة جديدة تبتعد عن المواجهة المباشرة وتستند إلى منطق الانقسامات العرقية. حيث أشار «ينون» إلى وجود عيوب فى البنية الوطنية والاجتماعية للدول العربية، التى تم تقسيمها من قبل الغرب إلى ١٩ دولة عربية غير متجانسة طائفيًا وعرقيًا، ما جعلها أشبه بفسيفساء عرقية وطائفية يمكن تقويضها فى أى لحظة بإشعال فتيل الصراع فيما بينها. وذيل «ينون» مقالته بقوله: «إن أى صراع عربى- عربى يصب فى النهاية فى مصلحة إسرائيل، ويعجل بدولة إسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل».

وبعيدًا عن الادعاءات التى أثبتتها الأيام، التى تقول إن هذه الخطة قد تم تبنيها من قبل معهد الاستراتيجيات الصهيونية فى الإدارة الأمريكية، وإنها دخلت حيز التنفيذ فى إدارة الرئيس الأسبق جورج دبليو بوش، سنجد أن مقولة «دولة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل» تتردد كثيرًا على ألسنة الساسة الإسرائيليين منذ بدايات تأسيس دولة إسرائيل حتى الآن، آخرها كان منذ أيام قليلة، حيث نشرت وسائل التواصل الاجتماعى تصريحات مصورة لوزير المالية الإسرائيلى الحالى «بتسلئيل سموتريتش» يقول فيها: «نريد دولة يهودية تضم الأردن والسعودية ومصر والعراق وسوريا ولبنان». وهو الأمر الذى يتماشى مع سياسة وأفكار رئيس وزرائه بنيامين نتنياهو المولع بعرض الخرائط فى خطاباته فى الأمم المتحدة، والتى يرسم بها مستقبل المنطقة وفق أهوائه ومعتقداته. ورغم عبثية المعتقد «بدولة إسرائيل الكبرى»، الذى يقوم على وعد إلهى غير ملزم لباقى الشعوب التى لا تؤمن باليهودية، نجد أن هناك خطوات متسارعة ترتكز على خطط طويلة الأمد، تلتقى فيها المصالح الإسرائيلية مع المصالح الأمريكية، وأحزاب اليمين المسيحى المتطرف فى أوروبا، نحو تنفيذ ذلك المخطط وتحقيق أحلام فئة من البشر تعانى من الهوس

> أشار «ينون» إلى وجود عيوب فى البنية الوطنية والاجتماعية للدول العربية، التى تم تقسيمها من قبل الغرب إلى ١٩ دولة عربية غير متجانسة

قراءة فى تاريخ فلسطين: التوراة ودولة إسرائيل الكبرى

الدينى والطمع الاستعمارى. والسؤال الآن، من أين أتى الحلم بإسرائيل الكبرى؟ وهل حقًا وعد الرب بنى إسرائيل بحكم الأرض من الفرات إلى النيل؟

ونعود إلى عزرا، الكاتب الذى قام بكتابة نصوص التوراة بعد العودة من السبى، فقد ذكرنا فى المقالات السابقة كيف عمد «عزرا» إلى ترسيخ فكرة «الاختيار الإلهى» لشعب إسرائيل، وحث على التطهير العرقى لأرض أورشليم حتى يحافظ على نقاء الشعب اليهودى، من خلال سياسات عدة، منها طرد النساء الأجنبيات المتزوجات من يهود، ومنها سن القوانين التى تبيح القتل والإبادة للرجال والنساء والأطفال والرضع من شعوب الأرض الرجسة، ويقصد بها كل الشعوب من غير اليهود.

ولكى تنشأ عاطفة أبدية بين شعب إسرائيل وهذه الأرض، تمت إضافة عنصر جديد، هو أسطورة الأرض الموعودة التى انبثقت منها فكرة إسرائيل الكبرى. هذه العاطفة التى تحدث عنها الحاخام «ميمون فيشمان» أول وزير للأديان فى إسرائيل عام ١٩٤٨، فقال: «إن الرباط بين إسرائيل وأرضها ليس كالرباط الذى يشد سائر الأمم إلى أرضها، فالرباط بين الشعب اليهودى والأرض به سر من القداسة، وهو رباط من عند السماء».

ومصطلح «الأرض الموعودة» هو مصطلح أكثر دقة من مصطلح «أرض الميعاد» الذى يكثر استخدامه فى الكتابات العربية. فكلمة «موعودة» مشتقة من الوعد والمقصود به «الوعد الإبراهيمى» الذى منحه الرب لإبراهيم ونسله بحكم هذه الأرض، أما كلمة «الميعاد» فمشتقة من العودة، وربما استخدم هذا المصطلح فى أوقات الشتات اليهودى.

ونعود إلى النصوص التى كتبها عزرا الكاتب بشأن وعد الرب لبنى إسرائيل بالأرض، والحقيقة أن هذه النصوص تتباين فيما بينها تباينًا شديدًا فى تحديد حدود هذه الأرض وفى تحديد من الذى سيرثها، ما يفتح الباب للتساؤل، عن احتمالية وقوع عزرا فى خطأ أدى إلى التناقض بين النصوص، أو احتمالية إضافة نصوص إلى التوراة فى فترة تالية لعزرا؛ للتأكيد على بعض الأفكار التوسعية. والنص الأول الذى يشير إلى هذا الوعد ورد فى سفر الخروج الإصحاح الثالث عشر، الذى ذكر: «وقال الرب لإبرام ارفع عينيك، وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا؛ لأن جميع الأرض التى أنت ترى، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد».

فى هذا النص كان الوعد لإبراهيم ونسله وكانت حدود الأرض هى الاتجاهات الأربعة بمد البصر. ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن يمتد بصر إبراهيم لأكثر من حدود مدينة صغيرة فى أرض كنعان التى كان يقف عليها، لكن هذه الحدود قد اتسعت فجأة فى سفر التكوين حين تمت صياغة النص بصورة أخرى على يد عزرا أو غيره فى الإصحاح الخامس عشر «فى ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقًا، قائلًا: لنسلك أعطى هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» تكوين ١٥، وهو النص الذى بنى عليه شارحو التوراة فكرة دولة إسرائيل الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل. ومن المفارقات أن هذا الإصحاح والآيات التى به تفتح جدلًا حول من هو الوريث للوعد الإبراهيمى؟ فكلمة «لنسلك» تشير فى أغلب الظن إلى أن كل أبناء إبراهيم هم ورثة هذه الأرض، وهم بالترتيب حسب السن: إسماعيل، ثم إسحاق، ثم أبناء إبراهيم من قطورة الكنعانية، الذين تجاهلتهم التوراة تمامًا واعتبرتهم من شعوب الأرض النجسة، ولو كان المقصود أن الوريث ابن واحد فمما لا شك فيه أن هذا الابن سيكون هو ابنه البكر إسماعيل، لأن الآيات التالية فى ذلك الإصحاح توضح أن إبراهيم عند صدور الوعد الإلهى لم يكن قد أنجب بعد، ولهذا سأل الرب متعجبًا بعد أن منحه ذلك الوعد «أيها السيد الرب ماذا تعطينى وأنا ماض عقيم؟»، ثم اشتكى له أن أمواله نفسها سيرثها خادم منزله أليعازر الدمشقى، لأنه ليس لديه وريث من صلبه، فقال: «إنك لم تعطنى نسلًا، وهو ذا ابن بيتى وارث لى»، فرد عليه الرب موضحًا له أنه سينجب ولدًا وأن هذا الولد هو الوريث، فقال: «لا يرثك هذا، بل الذى سيخرج من أحشائك هو يرثك»، فكانت هذه إشارة إلى أنه سينجب، وأن الابن المبشر به هو الوارث الشرعى، ومن المعروف أن إسماعيل هو الابن الأكبر ويكبر إسحاق بحوالى ١٤ سنة، وعلى هذا فالمنطق يحتم أن يكون هو المقصود بهذا النص، لكن لسبب أو لآخر أضيف نص لاحق يحصر ميراث الأرض فى نسل إسحاق، فذكر «وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ سَمِعْتُ لَكَ فِيهِ. هَا أَنَا أُبَارِكُهُ وَأُثْمِرُهُ وَأُكَثِّرُهُ كَثِيرًا جِدًا...» إلى أن قال «وَلكِنْ عَهْدِى أُقِيمُهُ مَعَ إِسْحَاقَ الَّذِى تَلِدُهُ لَكَ سَارَةُ فِى هذَا الْوَقْتِ فِى السَّنَةِ الآتِيَةِ»، وبهذا تم استبعاد بنى إسماعيل من الوعد، رغم أن الرب باركه وأكثر من ذريته!

ولم يتوقف التلاعب بنصوص التوراة عند هذا الحد، فبعد استبعاد أبناء إبراهيم من قطورة، واستبعاد إسماعيل ونسله، تم استبعاد عيسو، الابن البكر لإسحاق، من الوعد أيضًا، وتم حصر الوعد فى نسل ابنه الأصغر يعقوب، إذ قال الرب ليعقوب: «وَالأَرْضُ الَّتِى أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِى الأَرْضَ» تكوين ٣٥.

ورغم كل هذا التلفيق الذى يناقض بعضه بعضًا، فى سفر التكوين فيما يتعلق بمن سيرث الأرض بين الفرات والنيل، نجد أن تناقضًا أفضح وأكبر فى سفر الخروج فيما يتعلق بحدود هذه الأرض الموعودة، فمن بين ست مرات ذكرت فيها الأرض الموعودة، نجد أن الحدود قد تباينت أربع مرات، فتارة تُذكر على أنها مكان داخل أرض كنعان بمقدار مد البصر لإبراهيم، وتارة أرض كنعان بأكملها، وتارة ثالثة مساحة من الأرض محددة الأبعاد بين الفرات والنيل، وأخيرًا كامل المساحة بين الفرات والنيل.

وبعيدًا عن تلك الوعود الملفقة فى نص دينى يتسم بالخصوصية للمؤمنين به فقط، وغير ملزم لغير المؤمنين به، يجب النظر إلى الادعاءات اليهودية بمنظور تاريخى، وليس بمنظور دينى، ومن الضرورى الحكم على تلك النصوص من وجهة نظر تاريخية، وهذا ما سنتطرق له فى المقال المقبل بمشيئة الله.

وللحديث بقية.

> لكى تنشأ عاطفة أبدية بين شعب إسرائيل وهذه الأرض تمت إضافة عنصر جديد، هو أسطورة الأرض الموعودة التى انبثقت منها فكرة إسرائيل الكبرى

حسين دعسة

لعبة لا تتسع لـ3 مجانين:

الحرب على غزة ولبنان نزوة فعقيدة!

كانت صحيفة «هآرتس» الإسرائيلية، برزت بتوصيف ما يحدث فى حكومة الاحتلال الإسرائيلى اليمينية المتطرفة، وجيش الكابينت النازي، بقيادة السفاح نتنياهو، وقال اللواء المتقاعد فى الجيش الإسرائيلى إسحاق بريك إن الواقع مع أحداث اليوم أن هناك ٣ «مجانين» فى إسرائيل يتخيلون أنهم قادرون على القضاء على حركة حماس وحزب الله.

.. وفى ذات الدلالات، يخلص «بريك» إلى أن دولة - الاحتلال الإسرائيلى العنصرية-، دخلت مستنقعًا، بسبب ثلاثة مجانين، ولن تخرج منه بحرب شاملة أو حرب استنزاف تمر فيها، والحل التسوية السياسية فقط.

.. قد يكون لهذا العسكرى الصهيونى، بعض المقدمات عن رؤيته لمجانين دولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية، وهو أى «بريك»، حدد فى مقال له بصحيفة هآرتس: «فى الرد على إطلاق ١٨١ صاروخًا باليستيًا من إيران، ينبغى لإسرائيل أن تختار أهدافًا إيرانية لا يؤدى الهجوم عليها إلى حرب، بمثابة نهاية فعل بتفكير مسبق. فالهجوم على آبار النفط أو على المنشأة النووية فى نطنز من شأنه أن يؤدى إلى تصعيد قاسٍ ونشوب حرب إقليمية شاملة لا يحمد عقباها»، ويتوقف عندً لحظة التفكير بهذه العصابة من المجانين من اليمين المتطرف، ويحدد:

لعبة لا تتسع لـ 3 مجانين: الحرب على غزة ولبنان تعقيدة

أولًا: وقف القدرة الإيرانية

«من المهم أن نفهم أن ضرب المنشأة النووية الإيرانية لن يوقف القدرة الإيرانية على إنتاج قنابل نووية، بل فى أفضل الأحوال سيعيق الإنتاج ببضعة أشهر فقط».

ثانيًا: المهمة الصعبة

إن «إسرائيل وحدها لا يمكنها تدمير المنشأة النووية، المنتشرة فى بضعة مواقع فى عمق عشرات الأمتار فأكثر من تحت الأرض. وحتى لو جاءت الولايات المتحدة لمساعدتنا، فإن هذه مهمة صعبة جدًا على التحقق.

ثالثا: محور الشر الجديد: «روسيا والصين وايران».

الولايات المتحدة التى ترى فى النووى الإيرانى خطرًا عليها وعلى العالم كله، لم تخرج بنفسها إلى حرب لتدمير المنشأة النووية انطلاقًا من الفهم بأن هجومًا على إيران من شأنه أن يشعل حربًا عالمية مع محور الشر الجديد: «روسيا والصين وايران».

رابعًا: اقتراحات ترامب

«اقترح علينا دونالد ترامب مهاجمة النووى الإيرانيى. وأنا أسأل ترامب: لماذا لم تهاجم أنت، عندما كنت رئيسًا للولايات المتحدة وتدمر المنشأة النووية الإيرانية، إذ إن قدرات دولتك تفوق بمئات الأضعاف قدرات إسرائيل؟ أنت تقدم لنا مشورة لم تتجرأ على تحقيقها بنفسك رغم قوتك، مشورة ترامب هى مشورة أحيتوبول، قبولها سيلحق ضررًا رهيبًا بإسرائيل ومن شأنه أن يؤدى إلى نقطة اللاعودة».

خامسًا: التفكير باليوم التالى

إن نتنياهو ويوآف جالانت وهرتسى هاليفى، يراهنون على مجرد وجود إسرائيل، فبقرار غير حكيم واحد من شأنهم أن يشعلوا نارًا متعددة الجبهات فى كل الشرق الأوسط، هم لا يفكرون للحظة باليوم التالى. هم يعيشون سكرة أحاسيس بلا أى تفكر ويستمتعون بريح إسناد من جانب كثيرين ممن لا يفهمون الواقع المتشكل حولهم. عندما تضربنا الكارثة سيكون قد فات الأوان.

سادسا: الهروب

«هرب الثلاثة من مسئوليتهم عن اليوم الأكثر سوادًا فى تاريخ إسرائيل فى ٧ أكتوبر ٢٠٢٣، هكذا سيهربون من مسئوليتهم حين تنهار إسرائيل فى حرب استنزاف متعددة الساحات».

سابعًا: المجانين الثلاثة

إن «هؤلاء المجانين الثلاثة يتخيلون أنهم قادرون على أن يقضوا على حماس وحزب الله ويقضوا على حكم آيات الله فى إيران. المصابون بجنون العظمة غير مستعدين لأن يقبلوا أى تسوية كى يحرروا المخطوفين، مع أن جالانت وهاليفى يتحدثان عن تحرير المخطوفين، لكن طريقة عملهما فى الميدان تدل على أن كل هذا ظاهرى».

ثامنًا: وضع الحرب فى الشرق.. مع الاستنزاف

نتنياهو- السفاح المتطرف- ويوآف جالانت وهرتسى هاليفى، يريدون تحقيق كل شىء بواسطة الضغط العسكرى، وفى نهاية اليوم لن يحققوا شيئًا. يضعون إسرائيل على عتبة أشكال من الحدث الأمنى والعسكرى:

■ ١: انفجار شامل فى الشرق الأوسط حين سيقاتلنا كل العالم العربى المعادى لنا بذروة القوة التى تحت تصرفه، فى ظل إطلاق الصواريخ والمقذوفات الصاروخية إلى مراكزنا السكانية.

■ ٢: استمرار حرب الاستنزاف.

■ سردية المحرقة الصهيونية فى غزة ولبنان

بينما كتب اللواء المتقاعد فى الجيش الإسرائيلى إسحاق بريك.. والباحث والمحلل الأردنى إبراهيم علوش، فى الموقع الإلكترونى لفضائية الميادين، نجد ذات النظرة المتغيرة للحدث المتصاعد، بشكل بات يخرج من نطاق حرب الجبهات أو المعارك المحدودة، بل عادت الصورة إلى سردية الحرب بين مجازر وإبادة جماعية ومحارق يقودها السفاح نتنياهو وجيش الكابينت، والمجانين الثلاثة معًا.

يلفت د. علوش إلى أن النفس التصعيدى لحكومة- السفاح نتنياهو- لم يكن بغرض التهويل فقط أو بدوافع شخصية تتصل ببقاء حكومته فحسب، وأن فرص اندلاع الحرب الشاملة تزداد ضراوةً، كما أوحى جو تقارير مراكز أبحاث أمريكية وغربية شتى.

.. ويرى المحلل:

جرت الإشارة، إلى أن ذلك يتصل بأمرين متلازمين:

■ أ- الخطر الوجودى الذى يشعر به صناع القرار فى الكيان الصهيونى، وذلك على الضد من احتجاجات أهالى الأسرى فى غزة وداعميهم الذين يتناولون مسائل الأمن القومى الصهيونى من منظور فردى ضيق قصير المدى، هو الإفراج عن أقربائهم فى صفقة تبادل. وفى النهاية، ماذا يعنى مصير ١٠٠ أسير مقابل مستقبل الكيان ذاته؟!

■ ب- الجرح النرجسى الذى ألمّ بالعقل الجمعى الصهيونى القائم على فكرة «التفوق» على «الأغيار» من سائر الأمم، سواء انبثق ذلك الشعور بالتفوق من المرجعية التلمودية والمنظومة الثقافية للمستعمرين المستوطنين من متدينين وغير متدينين، أو من الإحساس بالتفوق تقنيًا وعسكريًا واستخباريًا، وبالتالى سياسيًا، كتحصيل حاصل للتفوق الأول، الذى يبيح اللجوء إلى كل وسيلة، مهما بلغت قذارتها، من أجل تجسيده هنا والآن، ليصبح الدنيوى مصداقًا للدينى فى أعين الأمم ودعوةً لتقديم فروض الولاء والطاعة إلى «الشعب المختار».

■ نقطة التحول.. عملية «طوفان الأقصى»

يرى الباحث أسن نقطة التحول، أن العالم، ونحن نعيش ما بعد مرور السنة الأولى على معركة، ذكراها السنوية الأولى، طوفان الأقصى، والتى «انتهكت»، من المنظور الصهيونى، الأرض العربية الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨، بصورةٍ مفاجئة وعنيفة، فأبادت فرقة غزة كاملة بين قتيلٍ وجريح وأسيرٍ وفار، وشردت ٧٥ ألفًا من غلاف غزة حتى اليوم.

.. فى التركيز إشارات إلى فعاليات الجبهات المساندة، المقاومة:

■ الجبهة اللبنانية:

حزب الله والمقاومة الإسلامية الفصائل على الأرض، التى عطلت الحياة الطبيعية تمامًا شمالى فلسطين المحتلة، والتى حولت نحو ١٠٠ ألف مستعمر مستوطن فى شمال فلسطين إلى نازحين، وأرسلت الهدهد وصواريخها ومسيراتها عميقًا فى جسد الاحتلال.

■ جبهة اليمن:

أغلقت البحر الأحمر، وشطبت «إيلات»- أم الرشراش اقتصاديًا، وراحت ترسل صواريخَ ومسيرات إلى عمق الكيان الصهيونى وصلت إلى «تل أبيب» - ضاحية يافا.

■ جبهة العراق:

لم تقصر بالإسهام فى جبهة الإسناد بصواريخها ومسيراتها، والتى أثخنت إحداها مثلًا قاعدة عسكرية للعدو فى شمال الجولان قبل أيام.

■ الجبهة السورية:

الحاضنة الصامدة- بحسب تحليل د. علوش- بالرغم من كل ما تعرضت له، والتى تظل عقدة مواصلات محور المقاومة وشرفته على خطوط التماس مع العدو الصهيونى.

■ فى إيران هناك من طالب بضرورة مراجعة العقيدة النووية!

الجرح النرجسى الذى ألمّ بالعقل الجمعى الصهيونى القائم على فكرة «التفوق» على «الأغيار» من سائر الأمم

لعبة لا تتسع لـ3 مجانين: الحرب على غزة ولبنان تقوم على عدم إنتاج نووة عقيدة

بيانات التحليل الجيوسياسى الأمنى والعسكرى، تفسر كيف أن هناك من يضع عثرات فى طريق ومسار الحدث، الترقب الدولى، داخل إسرائيل- المنارة نتيجة الضربات الصاروخية الباليستية الإيرانية، ومع ذلك، الاحتلال الإسرائيلى الصهيونى، لم يرد، ويبدو أن الصراع تجاوز أى رد شكلى، فما أعلنه البرلمانى الإيرانى حسن على أخلاقى عن أن ٣٩ نائبًا وجهوا رسالة إلى المجلس الأعلى للأمن القومى، يدعون فيها إلى إعادة النظر فى العقيدة النووية الإيرانية، يدل على تسوية، تبدو إعلامية ظاهرها العودة لأخلاقيات الحرب العادية أو الردع الممكن، ومع هذا التصور قال أخلاقى أميرى فى تصريحات لوكالة «إسنا» ووسائل إعلام إيرانية مستقلة وحكومية: «اليوم لم يعد بمقدور أى منظمة دولية وحتى الدول الأوروبية وأمريكا كبح جماح الكيان الإسرائيلى، لأن هذا الكيان المزور يرتكب أى جريمة، وعلى أساس ذلك كتبنا مع ٣٩ نائبًا رسالة إلى المجلس الأعلى للأمن القومى وقدمنا طلبًا لإعادة النظر فى العقيدة النووية للجمهورية الإسلامية الإيرانية».

عمليًا، فتوى للمرشد الإيرانى الأعلى على خامنئى، حول تحريم الأسلحة النووية، تعد بمثابة عقيدة دفاعية إيرانية، قائلًا إن «الفتوى فى مكانه لأنه فى فقه الإمامية، الشيعة للزمان والمكان دور فى تغيير الأحكام، حيث يمكن لأحكام ثانوية أن تحل محل أحكام أولية».

وأضاف: «إننا اليوم لا ينبغى أن ننظر فقط إلى أنفسنا، بل نحن كانت لدينا ادعاءات بشأن جبهة المقاومة ونحن متمسكون بها، واليوم هذه الجبهة تنظر بأمل إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية»، معربًا عن أمله فى أن يقوم مجلس الأمن القومى الإيرانى بمراجعة العقيدة الدفاعية.

فى ذات الحدث قال مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وليام بيرنز إنه: لا يوجد دليل على أن إيران قررت بناء سلاح نووى، لكنه حذر من أن إيران قد تحتاج إلى «أسبوع واحد أو أكثر قليلًا» لإنتاج قنبلة نووية واحدة.

الدولة الإيرانية، ترى أن العقيدة النووية الإيرانية؛ تقوم على عدم إنتاج الأسلحة النووية واستخدامها، وأن البرنامج النووى الإيرانى «سلمى لاستخدامات مدنية».

مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن كمال خرازى، وزير خارجية إيران الأسبق، الرئيس الحالى للمجلس الأعلى للعلاقات الخارجية الإيرانى، المعنى بتقديم المشورة للمرشد الإيرانى الأعلى على خامنئى، لوح فى مايو الماضى، بأن بلاده ستضطر إلى تغيير العقيدة النووية فى حال أصبح وجودها مهددًا من قبل دولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية.

■ .. وتركيا لها رؤيتها فى مسار الحرب

ما يمكن أن يلخص من التصريحات التركية، أن الرئيس أردوغان، وبالتالى الحكومة التركية، ستواصل الوقوف ضد إسرائيل، وما نقل عدة مرات عن الرئيس التركى رجب طيب أردوغان أن:

إسرائيل ستدفع عاجلًا أم آجلًا ثمن الإبادة الجماعية التى تواصل ارتكابها منذ عام فى قطاع غزة.

وعبر منشور فى منصة إكس X، لفت إلى أن «تركيا ستواصل الوقوف ضد الحكومة الإسرائيلية مهما كلف الثمن وستواصل دعوة العالم إلى هذا الموقف المشرف».

تابع أردوغان: «الموت لا ينحصر بالنساء والأطفال والرضع والمدنيين الأبرياء فى غزة وفلسطين ولبنان بل فى الوقت نفسه مات أيضًا النظام الدولى والإنسانية».

المهم فى تصريحات أردوغان قوله: «مثلما تم إيقاف هتلر عبر تحالف مشترك للبشرية سيتم إيقاف نتنياهو وشبكته الإجرامية بالطريقة ذاتها».

■ .. بايدن يقبل التحدى.. وجالانت فى الهامش!

نظرة سريعة لتقارير وسائل الإعلام الإسرائيلية، نجد أن الجيش الإسرائيلى اعترف بمقتل ١١ جنديًا وإصابة ١٦٨ آخرين من منذ بدء التوغل البرى المحدود عند الحدود الفلسطينية اللبنانية، أو شمال دولة الاحتلال الإسرائيلى العنصرية مع لبنان، فلسطين المحتلة.

بينما تتفاوت التقارير فى جبهة الحرب على غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، فهى تتغير كل نصف دقيقة نتيجة اجتياح مخيمات غزة ورفح وجباليا وخان يونس، واليوم بنيت السواتر الترابية حول أشباه المخيمات التى يتشرد داخلها سكان القطاع، وفى العمق السياسى، يلعب السفاح نتنياهو، لعبته المثيرة للجدل، المكشوف النتائج، إذ إنه لجأ إلى أن يمنع جالانت من زيارة واشنطن.. ويضع شروطًا للقبول، فالسفاح

يريد من جالانت التوسط لدى الرئيس بايدن لإجراء مكالمة معه، بايدن له أكثر من أسابيع يرفض الحديث المباشر مع السفاح، وأيضًا لوحظ ذلك عبر دبلوماسية الإدارة الأمريكية.

.. وفى المؤشر، استدعى رئيس الحكومة الإسرائيلية اليمينية المتطرفة، نتنياهو عددًا من الوزراء إلى مشاورات مغلقة يعقدها فى مقر وزارة الأمن الإسرائيلية، فى تل أبيب، وامتنع عن الموافقة على زيارة وزير الدفاع يوآف جالانت، المقررة إلى واشنطن، وهى زيارة اتفق عليها لمناقشة حيثيات الجنون الإسرائيلى، الذى يخطط لحرب، وليس ضربة عاجلة على إيران، وإذا ما سميت العملية ضد إيران ب «الضربة- الرد» فالتقارير الإخبارية، وأعمال مراكز الأبحاث الأمنية الأوروبية والأمريكية، تؤكد أن المشاورات العسكرية والأمنية عقدت بمشاركة عدد محدود من الوزراء، بمن فيهم جالانت، الذى كان من المقرر أن يزور الولايات المتحدة الأمريكية، فى وقت لاحق وشارك فى نقاش الرد، قادة الأجهزة الأمنية، فى إطار المداولات التى تعقد لبحث كيفية الرد على الهجوم الإيرانى، فيما تسعى تل أبيب للحصول على دعم واشنطن للرد المحتمل.

ولم تصادق الحكومة على زيارة جالانت القصيرة المقررة لواشنطن، والتى تهدف إلى تعزيز التنسيق بين إسرائيل والإدارة الأمريكية، فى ظل الاستعداد للرد الإسرائيلى على هجوم الصواريخ الباليستية الإيرانى.

من جانبها اعتبرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أن تعطيل موافقة نتنياهو على الزيارة، صدم الأمريكيين، وهو يهدد بإلغائها.

.. وهى تقول، إن السفاح نتنياهو وضع شرطين للسماح بالزيارة:

■ الشرط الأول: موافقة البيت الأبيض على إجراء مكالمة بينه وبين الرئيس الأمريكى جو بايدن، بعد أسابيع من القطيعة.

■ الشرط الثانى: مصادقة الكابينت على العمليات العسكرية المستقبلية.

وذكرت الصحيفة أن التقديرات تشير إلى أن نتنياهو «يخشى أن يمنح جالانت مكاسب سياسية لدى بايدن، ويريد أن يظهر لقاعدته فى حزب الليكود، أنه يمنع جالانت من التنسيق مع الأمريكيين». ولفتت إلى «صدمة لدى واشنطن من سلوك نتنياهو، ليس فقط على خلفية خلافه مع جالانت، بل تعكس أزمة أكبر بين نتنياهو وإدارة

> الدولة الإيرانية ترى أن العقيدة النووية الإيرانية تقوم على عدم إنتاج الأسلحة النووية واستخدامها وأن البرنامج النووى الإيرانى «سلمى لاستخدامات مدنية»

> تركيا: إسرائيل ستدفع عاجلًا أم آجلًا ثمن الإبادة الجماعية التى تواصل ارتكابها منذ عام فى قطاع غزة

لعبة لا تتسع لـ 3 مجانين: الحرب على غزة ولبنان نتوء لتحقيق

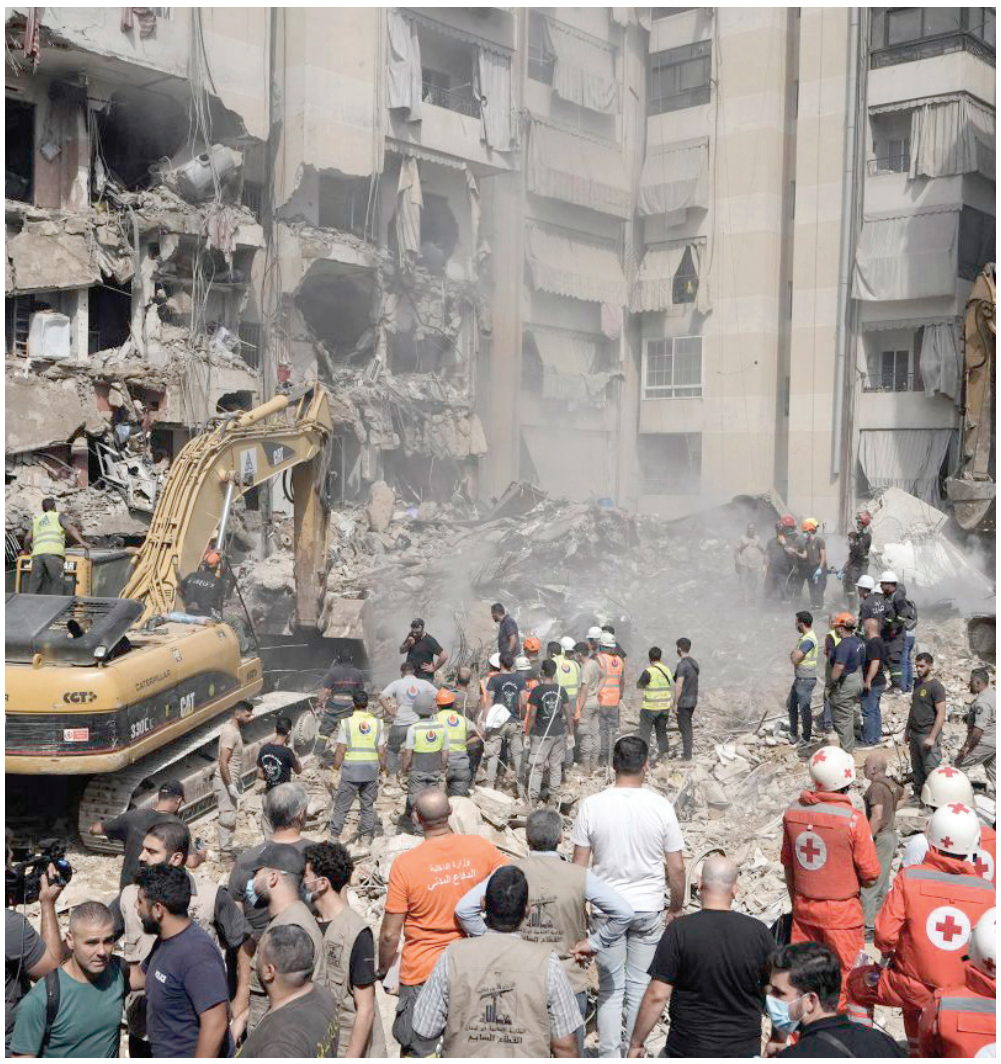

بايدن».

وأشار التقرير إلى أن «الأمريكيين هم من دعوا جالانت، الذى يعتبرونه رجل الاتصال والتنسيق بشأن الحرب». وأفاد بأن جالانت كان قد نسّق رحلته مع مكتب نتنياهو، موضحًا أن «الهدف الرئيسى للزيارة كان الحصول على الدعم الأمريكى، الذى تحتاجه إسرائيل للرد على إيران، وذلك من خلال إبراز استعداد واشنطن لاستخدام القوة فى الشرق الأوسط، لمنع إيران من الرد على الهجوم الإسرائيلى المرتقب».

غالبًا، فرض صراع المجانين، أن شكل ومضمون الرسالة التى سينقلها جالانت إلى واشنطن، بحسب المصادر الإسرائيلية، تشدد على «ضرورة توجيه ضربة لإيران، ولكن ينبغى أن يتم ذلك بأفضل طريقة ممكنة، من خلال تنسيق كامل مع الجانب الأمريكى، الذى تتوقع إسرائيل أن يظهر القوة فى المنطقة، من خلال إرسال المزيد من القوات وحاملات الطائرات، وتعزيز التعاون بين إسرائيل والولايات المتحدة».

وأشارت الصحيفة إلى أن «إسرائيل لا تتوقع أن تشارك الولايات المتحدة فى الهجوم، خصوصًا فى فترة الانتخابات، لكنها تتوقع أن تكون إلى جانبها، فى حال ردت إيران على الهجوم بصواريخ إضافية، خاصة فى إطار التحالف الدولى الذى تم تشكيله خلال الحرب، وساهم بشكل كبير فى التصدى لهجومين سابقين من إيران».

كما كان من المفترض أن يطلب جالانت من المسئولين الأمريكيين، مساعدة إسرائيل بالحصول على المزيد من الأسلحة، وخاصة بطاريات دفاع جوى إضافية ضد الصواريخ الإيرانية، وأنظمة دفاعية يمكن أن تدعم منظومة الدفاع البرية والبحرية «حيتس». كما سيطلب تزويد إسرائيل بالأسلحة الثقيلة، التى تأخرت بسبب الحرب على غزة. كذلك، سيطلب من واشنطن مساعدة استخباراتية.

وبحسب التقرير، «لا تعانى إسرائيل فى الوقت الحالى من نقص فى الأسلحة، لكن وزارة الأمن تسعى للاستعداد للعمليات المستقبلية للتصعيد المحتمل، بما فى ذلك سد أى فجوات قد تنشأ فى حال اندلاع حرب أوسع».

.. وهذا هو ما يتم الرهان عليه أوروبيًا، أى كسر شوكة الدعم العسكرى اللوجيستى، لا الرضوخ الأمريكى لمطالب إسرائيل، فيما اعتبر أن الوصاية الأمريكية على السفاح نتنياهو، صعبت أن توقف الحرب، سواء فى غزة أو لبنان.

■ هل ممكن أن تنجح إيران فى رد الضربات؟

تقول إيران، إنها تراهن على هزيمة دولة الاحتلال الإسرائيلى برّيًا.

..ويأتى ذلك فى وقت يصرّ السفاح نتنياهو على الادعاء بأنه يسعى إلى تغيير وجه المنطقة، وفق جنون خطابه الذى أطلقه بعد تقييمات أمنية وعسكرية وسياسية للضربة التى سيتم توجيهها ضد إيران، هو خطاب يرقى إلى مستوى مشابه لإعلان الحرب. أصبحت الضربة مؤكدة، ولكن من غير المعروف حجمها ومداها وتداعياتها أو ردود الأفعال الإيرانية عليها. سيكون هناك احتمالان، إما أن تتدرج المواجهة فى سياق الضربات والضربات المضادة، أو أن تنجح الولايات المتحدة فى لجم طهران عن الردّ وتحييدها، فى مقابل تفرّغ الإسرائيليين للحرب على لبنان.

.. والذى يتبع التحليل أمنيًا وسياسيًا تفكير إيران، أنها تمتلك هناك قناعات واضحة أن السفاح نتنياهو يتدرج فى حربه بين الساحات للوصول إلى قلب طهران فى النهاية.

.. وماذا بعد ذلك:

تجمع المصادر كافة، أن هناك تخوفًا من وضع خطّة واضحة مدعومة أمريكيًا، للمضى قدمًا فى مساره الذى بدأه فى غزة وانتقل بعده إلى لبنان، وسينتقل فيما بعد إلى أماكن أخرى، وهذا هو محكم خطط السفاح التى لا يريد أن يترك لها بعض الهوامش، التى تأتى من قوى الجبهات التى تتكاثر أمنيًا وعسكريًا فى مسار حربى موحد تقريبًا.

عمليًا، ومنذ تتوالى الأحداث بين ساحة جبهة غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، والجنوب اللبنانى، والعراق واليمن، من الطبيعى أن يتغير شكل الصراع بالنسبة إلى إيران، حالة انتظار ضربة- رد قادم دون تأكيد طبيعة، لهذا وضعت إيران، التى كانت تعتبر أن حلفاءها ضمن محور المقاومة هم خطّ الدفاع الأول عنها، وهم العماد الأساسى لتوسيع نفوذها وبسطه فى الشرق الأوسط. بينما اليوم تجد طهران نفسها مضطرة للتدخل وإطلاق الصواريخ وتفعيل الجبهات للدفاع عن حلفائها فى المحور. وبحال لم تقدم على ذلك، فإن الضربات ستطولها. وبذلك تخسر إيران أوراق قوتها فى المنطقة، وتجد نفسها فى مكان تحتاج فيه للدفاع عن نفسها بنفسها. أى أصبحت إيران فى الواجهة وفى مقدمة الأحداث.

ولذا، ينقسم المشهد فى المنطقة إلى قسمين حاليًا، القسم الأول له علاقة بإيران نفسها والتى يصفها نتنياهو كرأس الأخطبوط، وسط دعوات إسرائيلية لضرب هذا الرأس بدلًا من ضرب الأذرع. والمشهد الثانى هو الحرب المستمرة على غزة ولبنان.

طريقة الردّ الإيرانى فى أبريل أو فى أكتوبر، فضحت قدرات طهران العسكرية، وأنها لا تمتلك التكنولوجيا اللازمة لإلحاق خسائر كبيرة بإسرائيل، تستعيد من خلالها التوازن معها.. أو أنها تمتلك المقدرات ولكنها لا تمتلك القرار. وبكلتا الحالتين، تشجّعت إسرائيل على مواصلة عملياتها القاسية، وأعطت دفعًا لنتنياهو للاستمرار فى توجيه الضربات. ما وضعه فى مكان غير قابل للارتداع. وهو حصل على قوة دفع من المرشح الرئاسى دونالد ترامب، الذى دعاه إلى ضرب المشروع النووى الإيرانى.

.. بين حدث وآخر، رهانات حزب الله وحركة حماس، والحرس الثورى الإيرانى، نظراتهم الجدّية، فى كل جبهة، هو على صمود كل الفقراء، حزب الله فى الميدان جنوبًا وفى بيروت، حركة حماس، غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، عدا الفصائل الفلسطينية، مع نظرية تعظيم خسائر جيش الاحتلال الإسرائيلى، ما يعزز من خيار مفاوضات وقف النار، وهذا تصور اعتيادى، غير قابل للمنطق، بعد مجازر الاحتلال المشهودة؛ لهذا تتجنب إيران الدخول فى صراع مباشر مع دولة الاحتلال الإسرائيلى فى هذا التوقيت، فهى لا تريد اللعب مع المجانين، وتترك ذلك لصمود تضحيات حزب الله، وحركة حماس والفصائل الفلسطينية فى كل مكان، ما يجعل الإسرائيليين، تحت مرمى السلاح، وبالتالى بعض الخسائر نتيجة أن لوجيستيات دولة الاحتلال مختلفة، عمليًا، أيضًا ترنو إيران لمرحلة عسكرية موحدة: فى ربط جبهة غزة بلبنان. ما تراه أنه سيدفع الأمريكيين إلى فرض وقف إطلاق النار على إسرائيل.

أما بحال لم يصمد الحزب فى المعركة البرية، فسيؤدى ذلك إلى ثلاثة احتمالات، وفق تحليلات لبنانية، وهى احتمالات قابلة للتشكل أو التبادل، وهى ضمن:

■ التحدى الأول:

توسع العملية البرية، الاجتياح المضاد، بعد انهيار خطوط الدفاع والوصول إلى عمق لبنان، وربما بيروت، ما سيعيد الأذهان إلى تجربة العام ١٩٨٢. أو يتمركز فى منطقة جنوب نهر الليطانى تحت عنوان العمل على «تنظيفها»، والتأكد من عدم وجود منصات إطلاق صواريخ أو مخازن أو أنفاق.

■ التحدى الثانى:

التحرك الدبلوماسى، مع الدولة اللبنانية، واتفاق حزب الله، التشاور مع حركة حماس لتطبيق القرار ١٧٠١ تحت الفصل السابع.

■ التحدى الثالث:

الإصرار على إبقاء عسكرى إسرائيلى فى الجنوب لضمان «أمن إسرائيل». وهو ما يعنى إعادة لبنان ٤٠ سنة إلى الوراء، على حدّ تعبير وزير الأمن الإسرائيلى يوآف جسالانت، وهو تصور وتصعيد خطير نظرًا لغياب الإدارة الأمريكية الدبلوماسى والسياسى المؤثر، وهو غياب مقصود فى هذه المرحلة، لأن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الاستعمارية، تريد تهيئة ملف مفاوضات مستحيلة، يؤجل لما بعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية، وهذا الأمر بات مكشوفًا تمامًا، سواء ظهر الرد الإسرائيلى، أو غاب، أو

> طريقة الردّ الإيرانى فى أبريل أو فى أكتوبر فضحت قدرات طهران العسكرية وأنها لا تمتلك التكنولوجيا اللازمة لإلحاق خسائر كبيرة بإسرائيل

لعبة لا تتسع لـ 3 مجانين: الحرب على غزة ولبنان تزعزع تعقيدات

تماسك حزب الله أو تحلل، وحركة حماس، التى ما زالت فى صراع مدمر مع الاحتلال الإسرائيلى الصهيونى.

■ .. والمجتمع الدولى.. تخوف من الغزو والحرب البرية

بين جهد وآخر تتكرر تبعات وأشكال الحرب التى ما زالت تمارس فى قطاع غزة ورفح والضفة الغربية والقدس، ووفق الجهود الدولية، يعقد مجلس الأمن الدولى غدًا الخميس جلسة طارئة لبحث تطورات الأوضاع فى لبنان فى ضوء التصعيد المتواصل بين العدو الإسرائيلى وحزب الله. هى الجلسة الثالثة التى يعقدها مجلس الأمن بناء على طلب فرنسى، ولكن الجلستين الماضيتين لم يصدر عنهما أى قرار. يعوّل لبنان على الاتصالات الدولية والدبلوماسية للوصول إلى وقف لإطلاق النار، لا سيما أن الحكومة أعلنت عن استعدادها الالتزام بالقرار ١٧٠١ وإرسال الجيش إلى الجنوب. وتأتى جلسة مجلس الأمن بعد مشاورات دورية عقدتها الدول الأعضاء وجرى فيها تقديم تقرير حول آخر تطورات الوضع فى لبنان. وخلال هذه المشاورات حذّر الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش من خطورة الأوضاع فى لبنان، ورحب بقرار مجلس الوزراء بزيادة عدد القوات المسلّحة اللبنانية لتعزيز سيطرتها على كل الأراضى اللبنانية. كما أكد جوتيريش، أهمية زيادة الدعم الدولى للقوات المسلحة اللبنانية ومؤسسات الأمن الحكومية من أجل استقرار لبنان، ومن أجل الوصول إلى أن ينحصر السلاح بيد الدولة، وقال: «أواصل تشجيع الجهات الفاعلة اللبنانية على تنشيط الجهود لإقامة حوار وطنى شامل لمعالجة القضايا العالقة».

.. أيضًا، وفى سياق متصل، بدورها أعلنت وزارة الخارجية الفرنسية اليوم الأربعاء عن أن باريس ستعقد اجتماعًا وزاريًا دوليًا بشأن الأزمة فى لبنان فى ٢٤ أكتوبر، وسيركز على الوضع السياسى الداخلى والمساعدات الإنسانية وسط تصعيد الصراع بين إسرائيل وحزب الله. وأشارت الوزارة فى بيان إلى أن الاجتماع سيركز أيضًا على العمل على تعزيز الدعم للقوات المسلحة اللبنانية فى الوقت الذى تحاول فيه الدول إقناع الجانبين بقبول وقف إطلاق النار. وقال بيان الخارجية الفرنسية: «سيجمع هذا المؤتمر الوزارى الدول الشريكة للبنان والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبى والمنظمات الدولية والإقليمية ومنظمات المجتمع المدنى. وسيكون هدفها تعبئة المجتمع الدولى للاستجابة لاحتياجات الحماية والإغاثة الطارئة لسكان لبنان وتحديد سبل دعم المؤسسات اللبنانية، ولا سيما القوات المسلحة اللبنانية، الضامنة للاستقرار الداخلى فى البلاد». وأضاف: «فى مواجهة أزمة سياسية وإنسانية خطيرة وعميقة، ستذكّر فرنسا من خلال هذا المؤتمر بالحاجة الملحة إلى وقف الأعمال العدائية والتوصل إلى حل دبلوماسى على أساس قرار مجلس الأمن رقم ١٧٠١ والسماح بالعودة الآمنة للنازحين فى إسرائيل كما فى لبنان».

رئيس الوزراء الإسبانى بيدرو سانشيز وصف الهجوم الإسرائيلى على لبنان بأنه «غزو»، قائلًا إنه لا يمكن للمجتمع الدولى أن «يبقى غير مبالٍ» إزاء هذا الوضع، وأعرب عن أسفه «لعدم وجود توافق» حول الموضوع داخل الاتحاد الأوروبى. وأكد خلال نقاش فى البرلمان أنه «من الواضح أنه حصل غزو من دولة أخرى لدولة ذات سيادة مثل لبنان، ولا يمكن للمجتمع الدولى أن يبقى غير مبالٍ».

وفيما رأى رئيس الوزراء المصرى مصطفى مدبولى أن الحرب فى لبنان من الممكن أن تطول، قال المتحدث باسم الخارجية الإيرانية إسماعيل بقائى، إن وزير الخارجية عباس عراقجى «أجرى مباحثات مفيدة وبناءة مع نظيره السعودى، بشأن آخر التطورات فى المنطقة خاصة فى غزة ولبنان». وأضاف: «وطالب الجانبان بوقف الحرب ضد غزة ولبنان، وأكدا أهمية إيصال المساعدات الإنسانية بشكل عاجل إلى النازحين».

> عقد مجلس الأمن الدولى جلسة طارئة لبحث تطورات الأوضاع فى لبنان فى ضوء التصعيد المتواصل بين العدو الإسرائيلى وحزب الله

> رسالة من الملك عبدالله الثانى إلى الرئيس المصرى عبدالفتاح السيسى

.. فى أجندة الجهود العربية والدولية المشتركة، استقبل الرئيس عبدالفتاح السيسى، رئيس جمهورية مصر العربية الشقيقة، اليوم الأربعاء، فى قصر الاتحادية، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية وشئون المغتربين أيمن الصفدى، الذى نقل تحيات جلالة الملك عبدالله الثانى إلى فخامته، وكان الوزير الصفدى ينقل رسالة سياسية أخوية ثنائية، أكدت عمق العلاقات الأخوية الراسخة بين البلدين الشقيقين، وتناولت سبل التنسيق والتشاور الأردنى المصرى المشترك، خصوصًا إزاء المساعى المبذولة من البلدين لوقف التصعيد الذى تشهده المنطقة جراء العدوان الإسرائيلى على قطاع غزة والضفة الغربية ولبنان.

وحمل الرئيس عبدالفتاح السيسى الصفدى تحياته وتقديره لجلالة الملك عبدالله الثانى، وأكد اعتزاز مصر بالمستوى المتقدم الذى وصلت إليه العلاقات مع الأردن فى جميع المجالات.

وجرى خلال اللقاء- بحسب بيان وزارة الخارجية الأردنية- والذى حضره وزير الخارجية والهجرة وشئون المصريين بالخارج الدكتور بدر عبدالعاطى، تأكيد عمق العلاقات التاريخية التى تجمع البلدين الشقيقين، والحرص المشترك على توسيع آفاق التعاون فى مختلف المجالات، وبما يخدم المصالح الأردنية المصرية وتطلعات الشعبين الشقيقين نحو المزيد من التطور والتنمية.

كما جرى بحث الجهود الأردنية المصرية المشتركة لإنهاء التصعيد الخطير الذى يهدد الأمن والسلم فى المنطقة وإطلاق جهود دولية فاعلة للتوصل إلى وقف فورى لإطلاق النار فى قطاع غزة ولبنان، ووقف الإجراءات الإسرائيلية التصعيدية الخطيرة فى الضفة، وضمان إرسال المساعدات الإنسانية الكافية والمستدامة إلى القطاع ولبنان.

كما جرى التأكيد على أن تجسيد الدولة الفلسطينية المستقلة على خطوط الرابع من يونيو عام ١٩٦٧ وعاصمتها القدس الشرقية على أساس حل الدولتين هو السبيل الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار والسلام فى المنطقة.. فى الحدث تشعبات وتداخلات سياسية وأمنية، التعنت الإسرائيلى يواجهه بتعنت أمريكى، إذ تترفع الإدارة الأمريكية عن الضغط على حكومة السفاح نتنياهو، المتطرفة، التى تتأهب وسط الصمت الدولى وغياب فاعل للأمم المتحدة والمنظمات والقوى المختلفة فى العالم، إلى تصعيد ربما يجر العالم نحو خيارات، أقلها حرب طويلة المدى.. وهذا ما سيحدث وفق مؤشرات يتبادلها الإيرانيون والأمريكان والإسرائيليون، وربما تمتد إلى محاور الإسناد والمقاومة.

> رئيس الوزراء الإسبانى بيدرو سانشيز وصف الهجوم الإسرائيلى على لبنان بأنه «غزو» قائلًا إنه لا يمكن للمجتمع الدولى أن «يبقى غير مبالٍ» إزاء هذا الوضع

د. كريمة الحفناوى

جبهة المقاومة لن تلين

وسط آلة القصف الحربية الأمريكية الصهيونية، التى تحصد آلاف الأرواح من المدنيين العزل، ومعظمهم من النساء والأطفال فى فلسطين، ومع سماع صراخ الأطفال من الجوع، والموت من العطش والأمراض والأوبئة، مع مشهد تكدس آلاف الجرحى فى المستشفيات، التى هدمتها ودمرتها الحكومة اليمينية الصهيونية الفاشية العنصرية، والتى فاقت جرائمها جرائم الفاشية والنازية فى منتصف القرن الماضى، وسط كل هذه المشاهد المؤلمة، ورائحة دم الشهداء الطاهر تتواصل المقاومة من كافة الفصائل الفلسطينية، رافعة راية القتال دفاعًا عن الأرض، والشرف والعزة والكرامة، والمقدسات الإسلامية والمسيحية.

ورغم ضربات العدو الموجعة، واستشهاد عدد من قادة المقاومة الأبطال، تستمر المقاومة وتسطر ملحمة الدفاع من أجل التحرير والعودة، ويستمر الشعب الفلسطينى البطل الصامد فى مقاومته ليل نهار، مكبدًا العدو خسائر بشرية وعسكرية فادحة، ومما يزيد من ضعف هذا العدو وقرب نهاية الاحتلال خسائره الاقتصادية اليومية بعشرات الملايين من الدولارات، وخسائره العسكرية الناتجة عن تدمير دباباته ومدرعاته، بجانب فرار ما يقرب من مليون صهيونى إلى الخارج هربًا من الحرب. هذا العدو الذى استمر فى ادعاءاته بأنه أقوى جيش، ويمتلك التكنولوجيا الحديثة تكسرت هيبته، ونال الهزيمة على يد الجيش المصرى فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، ونال أقوى ضربة من المقاومة الفلسطينية فى عملية طوفان الأقصى فى السابع من أكتوبر ٢٠٢٣.

وعندما بدأ العدو الصهيونى عدوانه فى الثامن من أكتوبر على قطاع غزة والضفة ظنًا منه أنه سيقضى على المقاومة، ويستطيع استرجاع الرهائن الصهاينة لدى المقاومة، ويفتح الطريق لحكم غزة بل وتنفيذ خطته وحلمه العنصرى، فى تهجير الشعب الفلسطينى من قطاع غزة إلى سيناء المصرية، ومن الضفة الغربية إلى الأردن، وإقامة الدولة «اليهودية»، فشل أمام ضربات المقاومة وصمود الشعب الفلسطينى، وتحطمت كل أحلامه على مدى سنة كاملة.

ولقد كشف طوفان الأقصى أمام شعوب العالم، عن زيف وكذب الدول الاستعمارية الكبرى، التى صدعتنا بالحديث عن الحرية والديمقراطية، حيث رأت الشعوب بعينيها، دعم هذه الدول وانحيازها للكيان العنصرى، وصمتها عن جرائمه البشعة فى حق الإنسانية، ورأت الدعم الأمريكى بالمال والسلاح، بل والأساطيل وحاملات الطائرات، ومشاركة الجنود الأمريكان فى العدوان، بالإضافة لاستخدام الولايات المتحدة الأمريكية حق الفيتو خمس مرات فى مجلس الأمن، لتوقف القرارات الخاصة بإدانة العدوان الصهيونى، والمُطالبة بوقف الحرب فورًا، وإدخال المساعدات الإنسانية لقطاع غزة.

لذا انتفضت كل شعوب العالم الحرة الأبية، مطالبة بوقف الحرب فورًا، ومحاكمة مجرمى الحرب من الحكومة الصهيونية اليمينية المتطرفة الفاشية، أمام المحاكم الدولية، بل ودعت كل الشعوب لمقاطعة العدو الصهيونى، ومن يدعمه ويسانده، وانتشرت المقاطعة بسرعة انتشار النار فى الهشيم، ولم تقتصر على المقاطعة الاقتصادية «المنتجات والبضائع والسلع»، ولكنها امتدت للمجالات الرياضية والثقافية والفنية والاجتماعية، هذا بجانب مُطالبة كل الشعوب العربية، بوقف التطبيع فورًا وإغلاق سفارات الكيان، وسحب سفرائنا من الأرض المحتلة.

وسارت المظاهرات فى كل الدول ضد العنصرية والإبادة الجماعية والتهجير القسرى، ورفعت

> كشف طوفان الأقصى أمام شعوب العالم عن زيف وكذب الدول الاستعمارية الكبرى التى صدعتنا بالحديث عن الحرية والديمقراطى

جبهة المقاومة لن تلين

شعارات بكل اللغات «الحرية لفلسطين».

كان على نتنياهو بعد فشله فى تحقيق أهداف الحرب على غزة، وللحفاظ على سلامته الشخصية، أن يصر على الاستمرار فى الحرب وخاصة أن أمريكا تمده بالمال والسلاح وتسانده فى كل المحافل الدولية باعتبار أن الكيان من حقه الدفاع عن نفسه!، ويساعده عدد من الأنظمة الرسمية العربية المُطبِعة معه بصمتها وتواطئها وعدم الوقوف ضده فى حربه الوحشية بل وعدم إغاثة الشعب الفلسطينى والوقوف بجانب حقه فى التحرير والعودة.

وبدأ نتنياهو السفاح وحكومته فى تنفيذ خطة توسيع الحرب، للقضاء على المقاومة الوطنية اللبنانية التى هزمت الكيان الصهيونى بعد اجتياحه لبنان عام ١٩٨٢، وأجبرته على الخروج من لبنان عام ٢٠٠٠، واستمرت بعد ذلك مقاومة حزب الله للكيان الصهيونى الذى ما زال محتلًا لجزء من الدولة اللبنانية على حدودها الجنوبية.

قام العدو الصهيونى بحرب مستمرة على الجنوب اللبنانى، منذ الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣، لردع حزب الله الذى رد على هذه الاعتداءات، وكبد العدو خسائر فى الأرواح والعتاد والسلاح، وأعلن حزب الله عن أنه سيوقف حربه مع الكيان إذا أوقف الكيان عدوانه على الشعب الفلسطينى.

وفى نفس الوقت قامت المقاومة فى اليمن بضرب السفن التى تمر فى مضيق باب المندب وخليج عدن، متجهة إلى العدو الصهيونى محملة بالوقود والسلاح، وأصابت هذه السفن وكبدت أصحابها خسائر كبيرة. وأيضًا دخلت المقاومة العراقية لمساندة ودعم الشعب الفلسطينى وضربت أماكن داخل الأرض المحتلة، وأسقطت عددًا من جنوده بين قتيل وجريح.

وفى ١٧ سبتمبر ٢٠٢٤، قرر الكيان توسيع الحرب للقضاء على حزب الله، وجر إيران أيضًا للحرب، وقام بضرب المدن اللبنانية فى الضاحية الجنوبية فى بيروت، وتعمد تدمير البنية التحتية واستهداف المدنيين، حيث وصل عدد الشهداء منذ الثامن من أكتوبر ٢٠٢٣، حتى الآن أكثر من ٢٠٠٠ شهيد «منهم ١٢٧ طفلًا و٢٧٠ امرأة»، وإصابة أكثر من ٥ آلاف، معظمهم فى الأسبوعين الأخيرين، بجانب القيام باغتيال قادة حزب الله ومنهم سماحة السيد حسن نصرالله وعدد من رفاقه.

ظن العدو أن اغتيال القادة سيفُتّ فى عضد المقاومة، ويضعف عزيمتها، ويكسر إرادتها، ولكن هيهات، بل إن الضربات المؤلمة زادت من قوة المقاومة، ومن غضبها فأصبحت كالأسود الغاضبة التى تدافع عن عرينها، ومن الغضب يتولد الأخذ بالثأر والتمنى للشهادة فى سبيل الحق، والدفاع عن الأرض والعزة والكرامة، لقد اشتد عزم المقاومة وزادت قوة ضرباتها للعدو واستهدفت مواقعه العسكرية والاستخباراتية وزادت أيضًا عمليات المقاومة النوعية على أرض فلسطين والضفة الغربية، كما وجهت جبهات الإسناد فى العراق واليمن ضربات للعدو فى مقتل بعدد من المُسيرات المتطورة.

لقد اشتعلت جبهات الإسناد فى كل مكان، ولن تكف إلا بعد وقف الحرب على غزة والضفة، وفى نفس الوقت وفى الأول من أكتوبر الحالى هاجمت إيران الكيان فى عقر داره فى تل أبيب بـ٢٠٠ من الصواريخ الفرط صوتية، وسببت خسائر فى سلاح الطيران الإسرائيلى والعديد من المواقع العسكرية الهامة، وكانت هذه الضربة مؤجلة منذ اغتيال قائد مقاومة حماس الشهيد إسماعيل هنية داخل الدولة الإيرانية، فى أواخر شهر يوليو ٢٠٢٤، حيث أعلنت إيران وقتها عن الاحتفاظ بحقها بالرد فى الوقت المناسب، وانكشفت «القبة الحديدية» الصهيونية والتى وظيفتها صد الصواريخ والمُسيرات أمام هذه الأسلحة المتطورة.

لقد تصور العدو أن الوقت مناسب لتحقيق حلم دولته من النيل للفرات، وتصورت الإمبريالية الأمريكية والدول الاستعمارية الغربية، أنها ستفرض خريطة جديدة لتقسيم بلداننا وتكوين «الشرق الأوسط الجديد» مثلما حدث من قبل فى اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦، ولكن المقاومة مستمرة ومثلما كان طوفان الأقصى طوفانًا سيغرق الكيان العنصرى «النبت الشيطانى» المزروع فى غير أرضه، فإن طوفان انتفاضات الشعوب ضد الأنظمة التى لا تعمل على تحقيق مصالح شعوبها سيغرق هذه الأنظمة وسيتغير العالم فى القريب.. انتبهوا أيها السادة فالشعوب تتقدم إلى الأمام.

نتنياهو يريد توسيع الحرب بالاعتداء على إيران واستفزازها، وجرها لدخول الحرب حتى يتمكن من تكوين حلف صهيونى رجعى عربى «الناتو العربى» ضد إيران للقضاء عليها وعلى قوتها النووية لتنفرد «اسرائيل» بالدول العربية وتقضمها قطعة قطعة وتصبح القوة النووية الوحيدة فى شرق أوسط جديد.

وقبل أن أنهى المقال أود أن تسعدوا معى بمشهد عظيم، وهو مشهد احتضان الشعب اللبنانى لأهالى الجنوب النازحين نتيجة لويلات الحرب باحثين عن الأمن والأمان. مشهد الأيادى الممدودة لهم والبيوت المفتوحة لاستقبالهم. إننا أمام الشعب اللبنانى العظيم والمحب للحياة، أمام عودة لبنان الجديد متعديًا للطوائف والمذاهب. لبنان الكرامة والشعب العنيد.

المجد والخلود للشهداء، والشفاء للجرحى، والنصر للمقاومة، والبقاء للشعوب والزوال للاحتلال.

> ظن العدو أن اغتيال القادة سيفُتّ فى عضد المقاومة ويضعف عزيمتها ويكسر إرادتها، ولكن هيهات بل إن الضربات المؤلمة زادت من قوة المقاومة

حمدى البطران

إشكالية حزب الله

أثار وجود حزب الله الشيعى فى لبنان جدلًا كثيرًا، بين أوساط المثقفين فى الدول العربية، فقد كان رمزًا للمقاومة ضد الإسرائيلى المحتل، كما أنه قاوم الجماعات المتطرفة وتنظيم داعش، وتنظيم جبهة النصرة السورى ومنعها من دخول لبنان، ورغم هذا صنفته مجموعة الدول الغربية وأمريكا الموالية لإسرائيل بأنه تنظيم إرهابى.

أسسه عباس الموسوى عام ١٩٨٢، على أيديولوجية آية الله الخمينى وولاية الفقيه، وبعد وفاة الموسوى فى عام ١٩٩٢ تولى رئاسته حسن نصر الله.

من الناحية القانونية يعتبر حزب الله اللبنانى، أو المقاومة الإسلامية فى لبنان هو حزب سياسى إسلامى شيعى مسلح، مقره فى لبنان تأسس عام ١٩٨٢م، وهو جزء من محور المقاومة الذى تقوده إيران ضد الولايات المتحدة وإسرائيل وحلفائهما فى الشرق الأوسط، يقوم الحزب على الأيديولوجية الخمينية وولاية الفقيه.

وبالرغم من بعض عملياته فى مصر، فإنها لا تصنف حزب الله كمنظمة إرهابية، وأعلن الرئيس السيسى أنه لن يتخذ أى إجراء ضد الحزب ورفض الحرب مع إيران، رغم قيام خلية مسلحة للحزب بالتخطيط لاغتيالات واعتداءات ضد مواقع سياحية مصرية وسفن تعبر قناة السويس، كما قام حزب الله باقتحام السجون خلال أحداث يناير ٢٠١١ لتهريب سجنائه فى القضية.

خرج حزب الله من عباءة حزب الله الشيعى اللبنانى، الذى يرأسه نبيه برى، وقد كشف أمين عام حزب الله عام ٢٠٢١. عن أن الهيكل العسكرى التابع لحزب الله هو ١٠٠،٠٠٠ مقاتل، كلهم تحت السلاح ومقاتلون على أعلى درجات الكفاءة القتالية.

وقد كانت إسرائيل سببًا فى تدريب جنود ومقاتلى حزب الله على المعارك الحقيقية.

ففى عام ١٩٨٢ اقتحمت إسرائيل لبنان لطرد كل الفلسطينيين بقيادة ياسر عرفات منها، بعد ان طردهم الأردن فى أعقاب ما يعرف بأيلول الأسود عام١٩٧٠. ويعرف أيضًا باسم الحرب الأهلية الأردنية، هو الصراع الذى نشب فى الأردن بين القوات المسلحة الأردنية بقيادة الملك حسين ومنظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات فى المقام الأول بين ١٦ و٢٧ سبتمبر ١٩٧٠ مع استمرار بعض الأعمال حتى ١٧ يوليو ١٩٧١. ومن لبنان بدأ الفلسطينيون يشنون هجماتهم على إسرائيل، وهو ما خلق مبررًا لإسرائيل لاقتحام لبنان.

فى صيف عام ١٩٨٢، شنت إسرائيل حربًا واسعة على لبنان، بقيادة الجنرال أريل شارون، الذى صار فيما بعد رئيسًا لوزراء إسرائيل. كان هذا الاجتياح لتحقيق أهداف عسكرية وسياسية استراتيجية، كانت تلك الحرب جزءًا من صراع أكبر بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية، التى كانت تستخدم الأراضى اللبنانية قاعدة لتنفيذ عملياتها ضد دولة الاحتلال.

فى عام ١٩٨٢ أعلن حزب الله اللبنانى عن عزمه واستعداده لطرد القوات الإسرائيلية من لبنان. وبدأ يعد نفسه لتلك المواجهة، ونجح فى تحويل لبنان إلى بؤرة تنهك القوات الإسرائيلية فى لبنان، بالتعاون مع القوات السورية وبعض الدول العربية، وبعض الأحزاب اللبنانية الأخرى، وبحلول أواخر العام ١٩٩٠ توسع دور الحزب سياسيًا وعسكريًا، وبدأ بشن حرب عصابات ضد الجيش الإسرائيلى فى منطقة الشريط الأمنى العازل.

وتم إخراج آلاف المقاتلين الفلسطينيين بحرًا من لبنان، بعد حصار دموى استمر ١٠ أسابيع للعاصمة اللبنانية، شمل قصفًا إسرائيليًا مكثفًا لغرب بيروت، ومقتل مئات المدنيين فى مخيمى صابرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين على أيدى ميليشيات مسيحية لبنانية يتزعمها حزب الكتائب اللبنانى، سمحت لهم القوات الإسرائيلية بالدخول بعد مقتل رئيس لبنانى مارونى منتخب حديثًا فى انفجار سيارة ملغومة.

وبعد عشر سنوات، أى فى عام ٢٠٠٠، اتخذت إسرائيل، قرارًا بسحب قواتها من جنوب لبنان، منهية بذلك سيطرتها التى دامت هناك ثمانية عشر عامًا.

عام ٢٠٠٦ كان فارقًا، حيث التصعيد الأهم فيما عرف بحرب تموز واستمرت حينها الحرب بينهما أربعة وثلاثين يومًا ولم تنته إلا بالقرار الأممى ١٧٠١.

ودمرت الحرب الإسرائيلية- اللبنانية فى ٢٠٠٦، أجزاء كبيرة من لبنان. وفى ذلك الوقت، قُتل أكثر من ١١٠٠ لبنانى فى الضربات الإسرائيلية، بما فى ذلك حوالى ٢٥٠ من مقاتلى حزب الله، بينما قُتل ١٢١ جنديًا و٤٣ مدنيًا على الجانب الإسرائيلى بهجمات صاروخية شنها حزب الله. وقد عقدت هدنة بين لبنان وإسرائيل فى السنوات التى تلت حرب ٢٠٠٦، حتى بداية الصراع الحدودى بين حزب الله وإسرائيل فى ٨ أكتوبر٢٠٢٣ الماضى.

ولقد مر الصراع الحالى، الذى امتد فى الغالب على محيط يبلغ حوالى ٤ كيلومترات على جانبى الحدود، بتصعيد كبير بعد أن أعطت حكومة الحرب الإسرائيلية الأولوية رسميًا لإعادة سكان إسرائيل النازحين من أقصى شمالها، الثلاثاء الماضى. ومنذ ذلك الحين، أسفرت الهجمات المكثفة على أهداف لحزب الله، والتى كان العديد منها فى مناطق مدنية مكتظة بالسكان، عن ارتفاع عدد القتلى بشكل كبير، وكان من بين الضحايا مسلحون ومدنيون.

عام ١٩٨٢ اقتحمت إسرائيل لبنان لطرد كل الفلسطينيين بقيادة ياسر عرفات منها

وقد قامت إسرائيل بممارسة حرب الاغتيالات ضد قادة حزب الله، وكان أبرز القادة الذين تم اغتيالهم: حسن نصر الله، وأعلن الجيش الإسرائيلى عن اغتيال الأمين العام لحزب الله فى غارات على العاصمة اللبنانية بيروت الجمعة، ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٤. وإبراهيم قبيسى اغتالوه فى ٢٤ سبتمبر إلى مقتل قبيسى، وهو قائد وشخصية بارزة فى فرقة الصواريخ فى «حزب الله». وإبراهيم عقيل: هو قائد عمليات «حزب الله»، خدم فى أعلى هيئة عسكرية للحزب، وقتل خلال غارة إسرائيلية فى الضاحية الجنوبية لبيروت يوم ٢٠ سبتمبر.. وأحمد وهبى: قُتل فى غارة إسرائيلية فى ضاحية بيروت يوم ٢٠ سبتمبر. وفؤاد شكر قتل فى غارة إسرائيلية على الضاحية الجنوبية للعاصمة اللبنانية فى ٣٠ يوليو الماضى.

ولا يمكن إنكار الدور الذى قام به حزب الله لإنقاذ سوريا ونظام الأسد من القبضة الإرهابية لمجموعات داعش السنية، وبعض الفصائل الإرهابية، ومنها جبهة النصرة، وجيش محمد التى استولت فى منتصف بعد ٢٠١١ على نصف العراق ونصف سوريا، ولولا تدخل حزب الله لصالح سوريا والتحالف الدولى لصالح العراق لظل داعش حتى الآن.

كانت إسرائيل سببًا فى تدريب جنود ومقاتلى حزب الله على المعارك الحقيقية

أحمد بهاء الدين شعبان

حرب يوم القيامة

تندفع كرة الثلج المتوحشة التى خلقها جبروت الإرهاب الصهيونى المُنفلت، ورعتها غطرسة القوة الباطشة التى لم تجد مَن يردعها، فازدادت استشراسًا ودموية، فلم تكتفِ بامتصاص دماء الفلسطينيين واللبنانيين والسوريين والعراقيين واليمنيين.. إلخ، وإنما امتد خطرها الداهم إلى حدود مفتوحة لا سقف لها، وكيف لا؟ أولم يعلن «نتنياهو» دون أن يوقفه مُعترض أن يد الكيان الصهيونى المنتقمة قادرة على الوصول إلى حيث تريد، وأنهم عازمون رغم أنف مئات الملايين من سكان الشرق الأوسط، على أن يُغيِّروا خرائطهم الموروثة من مئات السنين، إن لم يكن آلافها، بمشيئة «بلطجى» هذا العصر الإسرائيلى، لكى يناسب الوضع المزرى المحدد لهم؟، وآخر تأكيد على هذا التوجه هو رسالة الأمر والوعيد، التى وجهها «نتنياهو» يوم الثلاثاء ٨ أكتوبر، عبر الفيديو، والتى هدد فيها شعب لبنان من أنه سيواجه «دمارًا ومعاناة» أشبه بما يواجهه الفلسطينيون فى قطاع غزة، إذا لم «يحرر» بلده من «حزب الله»، حسب تعبيره، منذرًا إياهم: «لديكم فرصة لإنقاذ لبنان قبل أن يقع فى هاوية حرب طويلة الأمد، ستؤدى إلى دمار ومعاناة أشبه بما نشهده فى غزة».

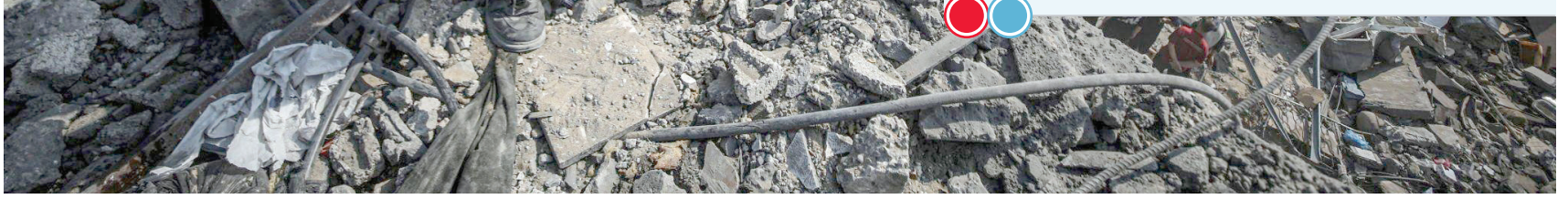

وفى السياق نفسه، لا يجب أن يمر علينا مرور الكرام، الدلالة الخطيرة لتوجه «نتنياهو» إلى مواطنيه، بمناسبة مرور عام على عملية «طوفان الأقصى»، بقرار تغيير اسم حرب الإبادة المستمرة، طوال العام الفائت، من «السيوف الحديدية» إلى «حرب يوم القيامة».

فـ«حرب يوم القيامة» أو «حرب جوج ومأجوج» هى مفهوم يرتبط بأحداث النهاية فى التقاليد الدينية، بما فى ذلك التوراة والتراث اليهودى، ويشار إلى «حرب جوج وماجوج» فى نصوص التوراة كمواجهة نهائية بين قوى الخير والشر، حيث يقود «جوج» أمة ضد إسرائيل أو قوى الله، وقد ذُكرت هذه الحرب بشكل خاص فى سفر حزقيال، «الإصحاحات ٣٨ و٣٩»، حيث يُنبئ عن هجوم «جوج» على أرض «ماجوج» ويصور هذا الهجوم كتهديد لإسرائيل، باعتبار أن هذا التهديد جزءًا من الأحداث التى تسبق ظهور «المسيا».

الكهنة والمتشددون هذه الحرب، التى ستتسم بعلامات مميزة، باعتبارها تدخلًا إلهيًا واضحًا، ويرون فيها تجسيدًا للصراع النهائى، الذى سيؤدى إلى تحقيق العدالة الإلهية وإقامة مملكة الله على الأرض.

وينظر المفسرون الأصوليون اليهود لهذه الحرب المدعاة، «حرب جوج وماجوج»، كرمز للصراعات الكبرى التى تواجهها البشرية، وكيف يمكن أن تؤدى هذه الصراعات إلى تجديد روحى أو تحوّل نفسى يمهد لمقدم «المسيا»، الذى سيكون مجيئه مصاحبًا لهذه الحرب، وحيث سيتمكن من تحقيق السلام النهائى بعد الصراع.

وفى التراث الدينى اليهودى، يُوصف «المسيا» بأنه سيكون من نسل «الملك داود»، وينتظرون مجيئه المواكب لأحداث مثل «حرب جوج وماجوج»، بما يبشر بتجميع الشتات اليهودى، وإعادة بناء الهيكل فى القدس.

والخلاصة فإن مفهوم «حرب يوم القيامة»، يمثل رؤية يهودية أصولية متشددة، للصراع النهائى الذى يؤدى إلى تحقيق العدالة الإلهية «المتوافقة مع الغايات المتطرفة للعنصريين الصهاينة»، وتعتبر جزءًا مهمًا من العقيدة اليهودية حول نهاية الزمان ومجىء «المسيا».

ونظرًا لكون صنّاع وقادة الكيان الصهيونى لم يعرف عنهم تدينًا أو إيمانًا بالادعاءات الدينية اليهودية، االتى استُخدمت، «برجماتيًا»، دعمًا لاغتصاب الأرض الفلسطينية وفكرة الكيان، فمن المفهوم بالطبع أن هذا المنحى الدينى المتطرف، الذى يلجأ «نتنياهو» إلى توظيفه سياسيًا، يأتى لمداهنة التيار اليهودى الأصولى، ومغازلة الحاخامات المهووسين بأساطيرهم، واستجابة لابتزاز ممثليهم فى القيادة الصهيونية: «بن غفير» و«بتسلئيل سموتريش» و«عميحاى إلياهو»، ومن لف لفهم، وحرصًا على استرضائهم، باعتبارهم «رمانة الميزان» القادرة على الإطاحة به وبإتلافه السياسى الهش، أو على مساندته وقت الحساب بعد انتهاء الحرب، إن استجاب لمطالبهم.

ولكل ذلك ينبغى الحذر، فـ«نتنياهو» اعتبر الحرب الراهنة: «حرب القيامة لضمان عدم تكرار السابع من أكتوبر»، وبشّر بها باعتبارها «حرب من أجل وجودنا»، وربط بينها وبين «تغيير الواقع الأمنى فى منطقتنا»، ولم يتوان أركان إدارته وحربه عن دق طبول المحرقة النووية أو أداة «حرب يوم القيامة»، وقد رد «مسئول أمريكى كبير»، رفض التصريح بذكر اسمه، على سؤال لشبكة (C.N.N.)، بأن إسرائيل لم تقدم ضمانات لإدارة جو بايدن بأن استهداف المنشآت النووية الإيرانية «غير وارد».

ورغم ادعاء الإدارة الأمريكية بأنها لا توافق على توسيع نطاق الحرب الدائرة على قدم وساق، فالمؤكد أنها ستغض الطرف عن العدوان الإسرائيلى القادم على إيران، أيًا كانت حدوده، بل ستكون سعيدة، لو نجحت اسرائيل فى تحقيق غايتها المعلنة: تدمير الجهد النووى الإيرانى قبل امتلاك القنبلة رسميًا، فهى رغم أى انتقادات شكلية لسياسات «نتنياهو»، إذ رغم رأى «بايدن» فى «نتنياهو»: «الوغد والكذاب اللعين»، الذى أورده الكاتب الصحفى الأمريكى الشهير «بوب ودورد»، فى كتابه الصادر حديثًا تحت عنوان «حرب»، لم تتوقف أمريكا للحظة عن إمداد جيش «الوغد اللعين» بالعتاد والسلاح، والدعم العسكرى، والاقتصادى، والسياسى غير المحدود.

> «نتنياهو» اعتبر الحرب الراهنة: حرب القيامة لضمان عدم تكرار السابع من أكتوبر» وبشّر بها باعتبارها «حرب من أجل وجودنا»

يقولون فى المثل المصرى الدارج: «يا فرعون إيه فرعنك؟» ويجاوبون: «مالقيتش حد يلمنى»، وهو مثل بليغ يعكس الحال والمآل، فالصمت والهوان، والتواطؤ والتدليس، من أطراف لا نهاية لها، أجنبية وعربية، والاستخذاء والتراجع أمام زحف البربرية الصهيونية، كان من المحتم أن يقود إلى هذا المأزق الذى ينذر بالكارثة، أو لنقل كان يمهد لاندلاع نيران «المحرقة» الراهنة والقادمة التى لن تبقى ولن تذر، ولن يكون أحد بمنجاة من عواقبها الوخيمة، ما دامت طبول الانتقام تدوى وسطنا، والعالم اللاهى ينظر بتآمر أو ببلاهة، دون أن يتحرك لتفادى النتائج المدمرة المنظورة، أو يعمل على وقف تدحرجنا مع انحدار الكرة القاتلة باتجاه الهاوية.

شرق أوسط جديد وهمٌ فى خيال نتنياهو!

جلال حمام

فى خطاب يائس، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلى، بنيامين نتنياهو، أن جيش الاحتلال تمكن من اغتيال هاشم صفى الدين، الخليفة المحتمل لأمين عام حزب الله، الذى اغتالته إسرائيل أيضًا، حسن نصر الله.. قال «نجحنا فى اغتيال حسن نصر الله، وكذلك خليفته، هاشم صفى الدين، وخليفة خليفته»، الذى لم يذكر اسمه.. فيما يعتبر أول إعلان إسرائيلى رسمى صريح باغتيال هاشم صفى الدين، الرجل الثانى فى حزب الله اللبنانى ورئيس مجلسه التنفيذى، الذى كانت الأنباء تضاربت حول مقتله فى هجوم إسرائيلى على بيروت.. واستغل نتنياهو السياق، لتحريض اللبنانيين على اتخاذ موقف ضد حزب الله، ملوحًا بأن الاستمرار فى دعم الحزب سيؤدى إلى «المزيد من الفوضى والمعاناة للبنان» وقال، «عليكم أن لا تضيعوا فرصة إنقاذ لبنان، قبل أن يقع فى هاوية من الدمار والمعاناة، مثلما حدث فى غزة» . وأكد للبنانيين، أن إيران تحتل لبنان عمليًا، فهى تمول وتسلّح حزب الله ليخدم مصالحها على حساب لبنان.. لقد حول حزب الله لبنان إلى مخزن للأسلحة والذخائر وقاعدة عسكرية متقدمة لطهران.

شرق أوسط جديد.. وهمٌ فى خيال نتنياهو

تابع نتنياهو بأن «إسرائيل قررت إنهاء هذا الوضع.. قررنا أن نفعل كل ما يلزم لإعادة مواطنينا إلى بيوتهم بأمان.. وأن لإسرائيل الحق فى الدفاع عن نفسها.. لإسرائيل الحق فى النصر!.. وإسرائيل ستنتصر بالفعل!»، على حد قوله، لأنه يرى أن «حزب الله اليوم أضعف مما كان عليه منذ سنوات عديدة»، ثم خاطب نتنياهو الشعب اللبنانى قائلًا، «الآن أنتم، مواطنو لبنان، تقفون عند مفترق طرق مهم.. الخيار بيدكم.. يمكنكم استعادة دولتكم.. يمكنكم إعادتها إلى مسار السلام والازدهار»، وهدد، «إذا لم تفعلوا ذلك، سيستمر حزب الله فى محاولاته لمقاتلة إسرائيل على حسابكم.. لا يهمه ما إذا كان لبنان سيُجر إلى حرب أوسع.. وجميعكم تُعانون بسبب الحرب العبثية لحزب الله ضد إسرائيل»، ثم واصل تحريضه، «أسأل كل أم وأب فى لبنان سؤالًا بسيطًا: هل يستحق الأمر كل هذا؟.. لأن الأمور لا يمكن أن تكون على هذا النحو.. أنا أعلم أنكم تريدون مستقبلًا أفضل لأبنائكم.. لذلك، اليوم أتحدث إليكم جميعًا.. هناك طريق أفضل.. أفضل لأبنائكم، ولمدنكم، ولقراكم، ولبلدكم.. أنتم تستحقون أن تعيدوا لبنان إلى أيام السلام.. تستحقون لبنان مختلفًا.. لا تسمحوا لهؤلاء بتدمير مستقبلكم أكثر مما دمروا بالفعل».

وبلغ نتنياهو قمة تحريضه اللبنانيين على حزب الله، فيما قد يؤدى إلى حرب أهلية، «قوموا باستعادة دولتكم.. أنتم أمام فرصة لم تكن لديكم منذ عشرات السنين، فرصة للاعتناء بمستقبل أطفالكم وأحفادكم.. هناك فرصة أمامكم لإنقاذ لبنان قبل أن يقع فى هاوية من حرب طويلة، تؤدى إلى دمار ومعاناة مثل غزة.. حرروا دولتكم من حزب الله لكى تنتهى هذه الحرب.. حرروا أنفسكم من حزب الله لكى تتمكن دولتكم من الازدهار مرة أخرى، وكى لا تعرف الأجيال القادمة من الأطفال اللبنانيين والأطفال الإسرائيليين حربًا أو إراقة دماء».

وفى رسالة وجهها مؤخرًا إلى الشعب الإيرانى، تصور رئيس الوزراء الإسرائيلى، بنيامين نتنياهو، نوعًا من التغيير فى الشرق الأوسط، وتخيل اليوم الذى يعيش فيه الإيرانيون واليهود فى سلام.. ولا شك، أن الحلم المستحيل، أو على الأقل التطلع إلى أيام أفضل قادمة ليس بالأمر الخطأ.. ولكن المشكلة هى أن الزعماء السياسيين يأخذون خيالاتهم على محمل الجد فى بعض الأحيان، ويستخدمونها لحشد الدعم لسياسات مُكلفة.. وكما يقول المثل، «الطريق إلى الجحيم مفروش بالنوايا الحسنة».. فرغم الانتصارات التكتيكية التى حققتها إسرائيل مؤخرًا على حزب الله، فليس هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن المنطقة أصبحت أكثر أمنًا أو سلامًا.. كما يرى الدكتور ليون هادار، الزميل الأول فى معهد أبحاث السياسة الخارجية فى فيلادلفيا، وكاتب العمود فى مجلة «ذا ناشيونال إنترست».

منذ عام ١٩٨٢، و«الشرق الأوسط الجديد» يلوح فى الأفق دومًا.. فقد تصور وزير الدفاع الإسرائيلى، أرئيل شارون، نظامًا جديدًا فى الشرق الأوسط، ينعم فيه لبنان بالحرية تحت حكم حكومة مارونية موالية للغرب، وتنشأ دولة فلسطينية فى الأردن.. ومن المؤكد أن الغزو الإسرائيلى للبنان، من شأنه أن يدمر منظمة التحرير الفلسطينية وقتها ويضمن أمن إسرائيل.. وفى أعقاب اتفاق أوسلو ١٩٩٣، وعد شمعون بيريز وتوم فريدمان، بإنشاء «شرق أوسط جديد».. وبدلًا من القتال، سيُطلق الشباب الفلسطينيون والإسرائيليون شركات ناشئة عالية التقنية.. وستحطم السيارة اليابانية الفاخرة «ليكزز» شجرة الزيتون، وتبشر بـ «نهاية التاريخ الصعب».

كان من المفترض أن تنشأ منطقة شرق أوسط ديمقراطية مؤيدة لأمريكا، بدءًا من العراق، بعد زعم الرئيس الأمريكى الأسبق، جورج دبليو بوش، فى (تغيير الأنظمة وتعزيز الديمقراطية)، فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين.. لكن هذا لم يحدث!.. وقد تبع ذلك ما أسموه (الربيع العربى)، أوائل العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، والذى كان من المتوقع أن يطلق موجة من الثورات الليبرالية الديمقراطية فى الشرق الأوسط، بقيادة جميع مستخدمى فيسبوك الشباب، المجتمعين فى ميدان التحرير بالقاهرة.. وكان هناك حديث أيضًا عن شرق أوسط جديد ومُحسّن، بعد توقيع إتفاقيات إبراهام عام ٢٠٢٠، والتى أدت إلى تطبيع العلاقات بين الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل، وتشكيل كتلة استراتيجية عربية إسرائيلية لاحتواء إيران.. وهنا نعود مرة أخرى، إلى أن إمكانية نجاح إسرائيل فى توجيه ضربة عسكرية إلى إيران ووكلائها فى الشرق الأوسط، يثير الآمال فى إرساء نظام جديد فى المنطقة.. ومن شأن لبنان الحر أن يبرز من بين أنقاض الحرب بين حزب الله وإسرائيل.. ومع تقليص حجم إيران، قد يصبح من الممكن تحقيق انفراجة بين إسرائيل والسعودية فى (تحالف إبراهام)، على غرار حلف شمال الأطلسى!.

كل ما سبق، كانت الأحلام والطموحات التى وصلت حد الأوهام.. أما الواقع، فله وجه آخر.. فقد أدت أحلام شارون الخيالية إلى حرب طويلة وكارثية فى لبنان، انتهت بجر إسرائيل إلى مستنقع.. وتم اغتيال الزعيم المارونى، بشير الجميل، ونجت منظمة التحرير الفلسطينية.. ثم جاءت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧.. وأشعلت اتفاقية أوسلو ١٩٩٣، توقعات السلام التى فشلت فى التحقق.. وفى وقت لاحق، أعقبت المحاولة الفاشلة للرئيس الأمريكى الأسبق، بيل كلينتون، لعملية سلام أخرى فى كامب ديفيد عام ١٩٩٩، الانتفاضة الثانية.. وترأس شارون الانسحاب الإسرائيلى من غزة عام ٢٠٠٥.. أثبتت حرب العراق، أنها كارثة استراتيجية ذات أبعاد تاريخية، فى حين تحول التدخل العسكرى فى أفغانستان إلى أطول حرب خاضتها أمريكا.. وقد أدت الحروب إلى انهيار توازن القوى فى الشرق الأوسط، الأمر الذى سمح لإيران بالظهور فى نهاية المطاف، كقوة مهيمنة إقليمية، تقود مجموعة من الوكلاء.. لقد ساعدت الأحلام المتعلقة بتعزيز الديمقراطية فى الشرق الأوسط، فى دفع أمريكا إلى بذل الجهود الكارثية والدموية للإطاحة بالزعيم الليبى، معمر القذافى.. وتحول الشرق الأوسط إلى ساحة مفتوحة للحروب الأهلية، بما فى ذلك محاولات تنظيم الدولة الإسلامية السيطرة على بلدان المنطقة.

وفى نظرة إلى الوراء.. أثبتت محاولة نتنياهو تهميش المشكلة الفلسطينية، من خلال اتفاقيات إبراهام، أنها خطأ انفجر فى وجه إسرائيل فى السابع من أكتوبر الماضي.. وبدا أن إيران وحلفاءها خرجوا كفائزين استراتيجيين، على الأقل لفترة من الوقت.. ولكن من الخطأ أن نصور نجاح المحاولات الإسرائيلية فى قلب الانتصارات التى حققتها إيران ووكلاؤها، على أنه فرصة أخرى لتدشين شرق أوسط جديد.. ومن المؤسف، أننا لم نبق على نفس الحال.. فسوف يظل حزب الله لاعبًا سياسيًا وعسكريًا مهمًا فى لبنان.. ومن غير المرجح، أن تؤدى انتكاساته الأخيرة إلى تغيير

> قال نتنياهو فى تحريضة على حزب الله قوموا باستعادة دولتكم أنتم أمام فرصة لم تكن لديكم منذ عشرات السنين حرروا دولتكم من حزب الله لكى تنتهى هذه الحرب

شرق أوسط جديد.. وهمٌ فى خيال نتنياهو

ميزان القوى فى ذلك البلد.. المؤكد هو أن إسرائيل ليست فى وضع يسمح لها بـ«هزيمة» إيران.. ومن المؤكد أن أى تحرك انتقامى من جانب إسرائيل ضد إيران، وخصوصًا الهجوم على مواقعها النووية ومواقعها النفطية، من شأنه أن يؤدى إلى اندلاع حرب إقليمية، قد تجتذب الولايات المتحدة فى نهاية المطاف.

إن التدخل العسكرى الأمريكى، الذى من المؤكد أنه سيؤدى إلى هجمات إيرانية على المواقع العسكرية الأمريكية وحلفاء الولايات المتحدة فى المنطقة، لن يؤدى إلا إلى الإضرار بمصالح إسرائيل فى الأمد البعيد.. والواقع أن تورط الولايات المتحدة فى حرب أخرى فى الشرق الأوسط، هذه المرة، كجزء من الجهود الرامية إلى حماية إسرائيل، من شأنه أن يشعل ردة فعل سياسية معادية لإسرائيل فى أمريكا، خصوصًا إذا كان من شأنه أن يؤثر على الانتخابات الرئاسية.. ومن المرجح أن يؤدى أى تدخل عسكرى أمريكى جديد فى حرب فى الشرق الأوسط، إلى تسريع انسحاب الولايات المتحدة من الشرق الأوسط، وهو الهدف الأساسى لإيران.. فهل تُجازف الولايات المتحدة بمستقبلها فى المنطقة؟.

لم يُطلع القادة الإسرائيليون الولايات المتحدة بعد، على التفاصيل المحددة لردهم العسكرى على الهجوم الصاروخى الباليستى، الذى شنته إيران الأسبوع قبل الماضى، حتى بعد أن ناقش المسئولون العسكريون الأمريكيون إمكانية دعم الانتقام الإسرائيلى، بالمعلومات الاستخباراتية أو الضربات الجوية الخاصة بهم، وفقًا لمسئولين أمريكيين.. تحدث وزير الدفاع الأمريكى، لويد أوستن، مع نظيره الإسرائيلى، يوآف جالانت، وناقشا الردود المحتملة، ولكن القرار النهائى ليس لإسرائيل بشأن ما يمكنها فعله ومتى؟.. إلا أن المسئولين الأمريكيين لا يعتقدون أن إسرائيل اتخذت قرارًا نهائيًا بشأن تفاصيل ردها، وقالوا إنها كانت تضيّق وتحدد خياراتها.. والخيارات التى لا تزال قيد الدراسة، هى استهداف البنية التحتية العسكرية والاستخباراتية الإيرانية والدفاعات الجوية ومنشآت الطاقة. ولم يناقش جالانت وأوستن المنشآت النووية الإيرانية، كأهداف محتملة.. وكان من المقرر أن يلتقى جالانت مع أوستن فى واشنطن اليوم الأربعاء وهى الرحلة التى بادر بها جالانت ولكن الرحلة تأجلت الآن بناءً على طلب رئيس الوزراء، بنيامين نتنياهو، فى ظل قلق أمريكى، من أن الرد الإسرائيلى قد يأتى أثناء اجتماع جالانت مع أوستن.

وبالرغم من تواصل الولايات المتحدة وإيران فيما بينهما، منذ السابع من أكتوبر، بشأن عدم رغبة أى من الجانبين فى تصعيد هذا الصراع، وفقًا للمسئولين الأميركيين السابقين والحاليين.. الذين يعتقدون، أنه ما لم يتم شن هجوم كبير على البنية التحتية النووية الإيرانية، يؤدى إلى إيقاف برنامجها أو تأخيره بشكل كبير، فإن إيران لا تسعى إلى حرب مباشرة مع إسرائيل والولايات المتحدة.. إلا أن مسئولين عسكريين أمريكيين ناقشوا خيارات الانضمام إلى إسرائيل فى ردها على إيران.. فالولايات المتحدة تدعم إسرائيل منذ فترة طويلة بالمعلومات الاستخباراتية، وأن هذا الدعم قد يستمر خلال الضربات الانتقامية الإسرائيلية ضد إيران.. وقد ناقش كبار المسئولين العسكريين الأمريكيين أيضًا، تنفيذ ضربات محدودة للغاية ضد أهداف إيرانية.. وبالفعل تمت مناقشة الضربات داخل إيران، وكذلك الضربات على أهداف خارج إيران، على الرغم من أن الضربات من أى نوع، تظل أقل احتمالية من تبادل المعلومات الاستخباراتية.

قد تستهدف الولايات المتحدة أصولًا إيرانية فى البحر، أو تحاول تعطيل المساعدة العسكرية التى تقدمها إيران لوكلائها فى المنطقة، من خلال ضرب مواقع الحرس الثورى الإسلامى، التى تدعم مجموعات الميليشيات فى اليمن أو سوريا والعراق.. ويمكن اعتبار الضربة الأمريكية على أهداف إيرانية دفاعية، إذا كانت تقضى على تهديد محتمل للولايات المتحدة أو حلفائها، مثل الضربات الأمريكية السابقة على أهداف مرتبطة بإيران داخل اليمن والعراق وسوريا.. ورغم عزم الولايات المتحدة على دعم حق إسرائيل فى الدفاع عن نفسها، إلا أنها لم تتخذ قرارًا بشأن أى تحرك أمريكى حتى الآن.. وهناك من لا يتوقع أن تدعم الولايات المتحدة الرد الإسرائيلى بشكل مباشر، بل يتوقعون بدلًا من ذلك، أن تدعم الولايات المتحدة إسرائيل من خلال إصدار عقوبات صارمة ضد إيران.. ذلك أن فشل إسرائيل فى تقديم ضمانات ملموسة للولايات المتحدة، بأنها ستُبلغ الولايات المتحدة بخططها، قبل وقت طويل من اتخاذ أى إجراء، جعل احتمالات قيام الولايات المتحدة بدور نشط فى رد إسرائيل أقل.. حفظ الله مصر من كيد الكائدين.. آمين.

> التدخل العسكرى الأمريكى لن يؤدى إلا إلى الإضرار بمصالح إسرائيل فى الأمد البعيد

د. أحمد الخميسى

كم عمر الإبادة فى غزة؟

فى ٧ أكتوبر الحالى يكون قد انقضى عام كامل على حرب الإبادة التى تشنها القاعدة الاستعمارية على غزة، فهل عمر الإبادة عام واحد؟ يسوقنى إلى ذلك التساؤل كتاب نادر أرسل الصديق عادل سالم إلىّ نسخة منه، مطبوع عام ١٩٣٨ بعنوان «فلسطين الشهيدة. سجل مصور لبعض فظائع الإنجليز واليهود ١٩٢١-١٩٣٨»، ومن العنوان تتضح العلاقة الوثيقة بين الاستعمار ونشأة الكيان المصطنع، فالفظائع يرتكبها الاستعمار واليهود تجرى منذ أكثر من مئة عام وليس عامًا واحدًا.

على الغلاف تحت العنوان مكتوب: «النسف، الحرق، التخريب، النهب، تدمير المدن والقرى، التشويه، التعذيب، قتل النساء والأطفال، إهانة كتاب الله، تخريب المساجد». وتتعرض المقدمة للسياسة «الإنجليزية الظالمة التى ترمى لإجلاء الشعب العربى عن بلاد آبائه وأجداده، وإحلال شعب غريب يُجلب من آفاق الأرض محله». ومن ثم تتابعت ثورات المقاومة الفلسطينية للاستعمار، وبداية يعتذر الكتاب عن أنه لم يجد صورًا من الثورة الأولى ١٩٢٠ لتوثيقها، لكنه يبدأ بالتوثيق بالصور مع الثورة الثانية فى يافا مايو ١٩٢١، ويقول فى ذلك: «إن اليهود اعتدوا على النساء والأطفال واستعملوا ماء الفضة يحرقون به الوجوه ويشوهونها»، ثم يأتى على ثورة البراق ١٩٢٩ التى شملت فلسطين كلها بعد اعتداء اليهود على المسجد الأقصى، فعلق الإنجليز أبطالًا كثيرين على أعواد المشانق، ثم يشير إلى تضخم الهجرة اليهودية والاستيلاء على الأراضى ما أشعل «ثورة المظاهرات» عام ١٩٣٣، ويقول فى ذلك: «وقد اصطدم المتظاهرون بالبوليس الإنجليزى، وكانوا عُزلًا من السلاح، فلم يجدوا غير النعال يرشقون البوليس بها»، فقتل نحو ٢٧ رجلًا وجرح مئة. وأخيرًا تندلع ثورة ١٩٣٦، ونرى صورها، وقد بدأت بإضراب عام، وقام الإنجليز واليهود خلالها «بتهديم البيوت العامرة ونسفها بالديناميت، وبلغوا من ذلك أنهم ينسفون مدينة بأسرها، وحيًا برمته، وقرية بكاملها».

ويستعرض الكتاب صورًا من نسف مدينة جنين عام ١٩٣٨، وغيرها من مدن فلسطين، وهناك صور تشبه ما نراه وما يحدث الآن، صور فلسطينيين كانوا يفتشون حينذاك عن أمتعتهم تحت أنقاض بيوتهم. ويوثق الكتاب بالصور كيف أحرق الإنجليز واليهود قرية كوكب أبوالهيجاء عام ١٩٣٨ ودمروها بالكامل، ومن ثم «كان من نتائج ما صبه الإنجليز على القرى من الفظائع أن أهلها جعلوا يهجرونها حتى لم تعد تتسع المساكن، فأقاموا فى المساجد والكنائس والحوانيت والشوارع». يعتمد الكتاب الذى يقع فى ثمانين صفحة على صور نادرة من تلك السنوات التقطت بعضها مواطنة أجنبية ذات ضمير حى عاشت فى فلسطين.

بشكل عام يترك الكتاب انطباعًا بأن كل ما نراه الآن من أساليب الإبادة فى غزة بدأ منذ مئة عام، مع المخطط الاستعمارى لإقامة قاعدة عسكرية تتولى الدفاع عن مصالح الاستعمار وترويع الدول العربية لإخضاعها اقتصاديًا وسياسيًا، نفس الأساليب التى تكشف عن دور تلك القاعدة الاستعمارية التى تتخذ من وجود حماس أو حزب الله ذريعة للإبادة، فهل كانت حماس موجودة ما بين ١٩٢٠ و١٩٤٨ حين ارتكب الإنجليز واليهود تلك الفظائع؟ ولم يكن لحزب الله وجود حين قام الكيان بأكثر من ألفى عدوان على لبنان من يونيو ١٩٦٨ حتى ديسمبر ١٩٧٢، ولا يوجد فى أوكرانيا حيث ينشط الكيان ضد أى أحزاب إسلامية! لكنه دور القاعدة الاستعمارية: الضرب حيثما يشير إليها سادتها الذين يطعمونها السلاح والمال والحماية الدولية.

> بشكل عام يترك الكتاب انطباعًا بأن كل ما نراه الآن من أساليب الإبادة فى غزة بدأ منذ مئة عام

ياسر شورى

أكاذيب حميدتى.. لماذا الآن؟

الأكاذيب التى تضمنها خطاب قائد ميليشيات الدعم السريع فى السودان، محمد حمدان دقلو «حميدتى»، لا تأتى فى هذا التوقيت اعتباطًا وإنما لها أسباب تتعلق بحميدتى نفسه والهزائم التى تلقاها مؤخرًا على يد الجيش السودانى وحولته إلى كلب يعوى بخطاب بائس. الصراع السودانى الحالى بدأ فى أبريل ٢٠٢٣ بين الجيش السودانى وقوات الدعم السريع بقيادة حميدتى، وهو صراع على السلطة والنفوذ فى السودان. يأتى هذا الصراع فى وقت كانت فيه البلاد تعانى من أزمة اقتصادية وسياسية حادة بعد الإطاحة بعمر البشير فى ٢٠١٩. حميدتى وقواته، التى نمت فى البداية كميليشيا لمكافحة التمرد فى دارفور، أصبحت قوة عسكرية قوية، حيث تشكل تهديدًا كبيرًا للجيش النظامى.

فى خطابه، اتهم حميدتى مصر بتقديم دعم مباشر للجيش السودانى فى عملياته العسكرية ضد قوات الدعم السريع. ويأتى هذا الاتهام فى وقت تزداد فيه عزلة حميدتى الدولية والإقليمية، حيث تبدو قوات الدعم السريع فى موقف أضعف مقارنة بالجيش السودانى. على الرغم من العلاقات التقليدية القوية بين مصر والسودان، خصوصًا مع الجيش السودانى الذى يعتبره العديد من المراقبين حليفًا استراتيجيًا لمصر، فإن القاهرة حرصت على الحفاظ على موقف متوازن، معلنة رغبتها فى دعم الحوار والسلام فى السودان، دون التورط فى الصراع الداخلى.

لماذا وجّه حميدتى الاتهام لمصر؟

حميدتى يواجه ضغوطًا متزايدة داخليًا وخارجيًا. فى ظل تراجع الدعم الدولى لقواته، والاتهامات المتزايدة بارتكاب جرائم حرب وانتهاكات حقوق الإنسان، يسعى حميدتى إلى تصوير نفسه كضحية لمؤامرة إقليمية. توجيه الاتهام لمصر يمكن أن يكون جزءًا من محاولة لكسب دعم محلى فى السودان، خصوصًا فى أوساط القوى السياسية التى تعارض التدخل الخارجى فى الشئون الداخلية.

وبتوجيه الاتهام لمصر، يحاول حميدتى إضعاف شرعية الجيش السودانى أمام الشعب السودانى، حيث يمكن أن يُفسر ذلك كدليل على أن الجيش لا يعتمد فقط على قوته الداخلية بل يحتاج إلى دعم خارجى. هذا الاتهام قد يستهدف تعزيز روايته بأن قواته تقاتل ضد «تدخلات خارجية» وليس فقط ضد الجيش.

ويمكن أن يُنظر إلى هذا الاتهام على أنه محاولة لتصعيد الضغوط على عبدالفتاح البرهان، قائد الجيش السودانى، الذى يتمتع بعلاقات وثيقة مع مصر. باتهام حميدتى لمصر، ربما يحاول تقويض دعم البرهان إقليميًا ودوليًا أو حتى تحريك الأطراف الدولية للضغط من أجل تسوية سياسية.

لماذا ينهار حميدتى فى هذا التوقيت؟

حميدتى يجد نفسه فى مواجهة عزلة دولية متزايدة. العديد من الدول الغربية، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى، وجهت انتقادات حادة لقواته بسبب التقارير التى تشير إلى ارتكابها انتهاكات جسيمة لحقوق الإنسان خلال النزاع. هذا العزل الدولى جعل من الصعب عليه تأمين الدعم اللوجستى والعسكرى.

وتواجه قوات الدعم السريع خسائر ميدانية كبيرة أمام الجيش السودانى، الذى يمتلك بنية تنظيمية وتسليحية أفضل. يبدو أن حميدتى فى موقف دفاعى، حيث تراجعت قواته عن العديد من المناطق التى كانت تسيطر عليها فى بداية النزاع، وبالإضافة إلى العزلة الدولية، يواجه حميدتى ضغوطًا داخلية هائلة. السودان يعانى من أزمة اقتصادية خانقة، ونقص فى الخدمات الأساسية مثل الغذاء والدواء. هذا الوضع يزيد من الضغط على قواته التى تعتمد على الدعم الشعبى فى بعض المناطق. تراجع الدعم الشعبى، خاصة فى ظل التقارير التى تتحدث عن الانتهاكات المرتكبة من قبل قوات الدعم السريع، يضعف موقف حميدتى بشكل كبير. وبالرغم من أن العديد من الدول تتجنب التدخل العلنى فى الصراع السودانى، إلا أن هناك ميلًا عامًا لدعم الجيش السودانى بقيادة البرهان، كونه يمثل الدولة بشكل رسمى. الدول الإقليمية مثل مصر والسعودية تتعامل بحذر مع حميدتى، خوفًا من تصاعد الفوضى فى السودان وتأثيرها على المنطقة.

الخلاصة.. خطاب حميدتى واتهامه لمصر بمساعدة الجيش السودانى يعكس تصاعد الضغوط عليه داخليًا وخارجيًا. يأتى هذا الخطاب فى وقت يواجه فيه انهيارًا فى موقفه العسكرى والسياسى، ويبدو أن حميدتى يحاول إعادة ترتيب أوراقه عبر ترويج رواية التدخل الخارجى لتبرير موقفه أمام الشعب السودانى والمجتمع الدولى. ومع استمرار الصراع، من المتوقع أن تظل الاتهامات المتبادلة والتوترات الإقليمية حاضرة فى المشهد السودانى المعقد.

> يبدو أن حميدتى فى موقف دفاعى حيث تراجعت قواته عن العديد من المناطق التى كانت تسيطر عليها فى بداية النزاع

د. محمود خليل

انقلاب الأمراء على «عبهلة»

انقلاب داخلى وقع ضد الأسود العنسى، بعد سيطرته على اليمن، الواضح أن عمرو بن معدى كان جزءًا منه، وقاده الأمراء الثلاثة الذين اعتمد عليهم «العنسى» فى حكم اليمن، بعد طرد الولاة المسلمين منها، وهم قيس بن مكشوح وفيروز الديلمى وداذويه، بالإضافة إلى قائد جنده. وقد بدأ الانقلاب ضد «العنسى» أول ما بدأ من جانب قائد جنده قيس بن عبد يغوث الذى غضب على «العنسى» واستخف به وهم بقتله، لكنه اكتفى بالانسحاب منه والانحياز إلى الولاة المسلمين، أما الأمراء الثلاثة فقد شرعوا فى الترتيب لاغتيال «العنسى» بالتنسيق مع زوجته «زاذ».

يروى المؤرخون حكاية اغتيال «العنسى»، وكأن من قاموا بالاغتيال أشخاص هالهم «ردة» الأسود أو ادعاؤه النبوة، وحقيقة فإن الأمر لم يكن كذلك، فكبير هؤلاء الأمراء ومن رسم خطة اغتيال «العنسى» وهو قيس بن مكشوح لم يكن مسلمًا بالأصل أو مسلمًا مرتدًا، وقد حكيت لك كيف غضب على عمرو بن معدى حين علم بذهابه إلى النبى وإسلامه، وكيف أخذ يتوعده إن لم يترك هذا الدين. والأميران الآخران لم يكونا من صحابة النبى، صلى الله عليه وسلم، الذين ابتعثهم من المدينة لحكم اليمن، مثل معاذ بن جبل وأبوموسى الأشعرى، بل كانوا أمراء يمنيين أصلاء، ينتمون إلى ذات القومية التى تمرد من أجلها الأسود العنسى، وكانوا جزءًا من نخبة حكمه، وشركاء له فى إدارة الأمر داخل اليمن، ومواجهة محاولات المسلمين لإخضاعها لسلطانهم مرة أخرى.

كانت الخطوة الأولى التى قام بها قيس بن مكشوح هى مقابلة زوجة الأسود العنسى «زاذ» تلك الحسناء المؤمنة، ابنة عم فيروز الديلمى. التقاها «قيس» وقال لها: «يا ابنة عمى قد عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك، قتل زوجك، وطأطأ فى قومك القتل، وفضح النساء فهل عندك ممالأة عليه؟ قالت: على أى أمر؟ قلت: إخراجه، قالت: أو قتله، قلت: أو قتله، قالت: نعم والله، ما خلق الله شخصًا هو أبغض إلى منه، فما يقوم لله على حق ولا ينتهى له عن حرمة، فإذا عزمتم أخبرونى أعلمكم». الواضح من هذا الحوار أن «زاذ» كانت تكره «العنسى» أشد الكراهية، لأنه قتل زوجها وأجبرها على الزواج منه، وقد كان هذا الأمر شائعًا فى ذلك الحين، وكانت ترغب فى الانتقام منه، ويبدو أن «قيسًا» كان يعلم ذلك، وعلى ثقة من أنها ستتعاون معه ومع باقى الأمراء فى الخطوة، لكن الملاحظ فى وصفها لزوجها أنها لم تنعته بالارتداد عن الإسلام أو ادعاء النبوة، وأنه كان مجرد رجل فاسق لا يقوم لله على حق ولا ينتهى عن حرمة. رواية زوجة «الأسود العنسى» التى ينقلها «ابن كثير» تتناقض مع ما يذكره المؤرخ حول الرجل وأنه ادعى النبوة، وذكر فى أكثر من موضع، وهو يحكى قصة اغتياله، أن شيطانه كان يأتيه ويخبره بما يخطط له الأمراء الثلاثة!، ولم يدر بخلد المؤرخ أن الرجل ربما يكون له عيون أو جواسيس على الأمراء ينقلون له أخبارهم.

يروى «ابن كثير» رواية طويلة عريضة حول الكيفية التى قتل بها الأمراء الثلاثة الأسود العنسى بمساعدة زوجته، والكيفية التى كان يقوم أو يتحرك بها بعد أن يسددوا له الطعنات، ويؤكد من جديد أن شيطانه كان يساعده على ذلك، حتى تمكنوا فى النهاية من قتله ليلًا. فلما كان الصباح قام قيس بن مكشوح ووقف على سور الحصن- كما يحكى «ابن كثير» فنادى بشعارهم «لم يذكر هذا الشعار» فاجتمع المسلمون والكافرون حول الحصن فنادى أشهد أن محمدًا رسول الله وأن عبهلة- يقصد الأسود العنسى- كذاب، وألقى إليهم رأسه، فانهزم أصحابه وتبعهم الناس يأخذونهم ويرصدونهم فى كل طريق يأسرونهم وظهر الإسلام وأهله وتراجع نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم.

يذكر «ابن كثير» أن «ابن مكشوح» هتف بشهادة أن محمدًا رسول الله، دون أن يذكر لنا متى أسلم؟ ويبدو أنه نسى أن آخر معلومة ذكرها عنه كانت تقول إنه رفض دخول عمرو بن معدى فى الإسلام وهدده وتوعده. كما أغفل وهو يتحدث عن عودة العمال المسلمين إلى أعمالهم أن اليمن بعد الأسود العنسى وقع فى حجر الأمراء الثلاثة: قيس والديلمى وداوذيه.

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الأثناء، فلما بلغ أهل اليمن ذلك ازداد بعضهم فيما كانوا فيه من الحيرة، وبدأ قيس بن مكشوح يفكر فى الوثوب على الحكم، والمضحك أن «ابن كثير»، الذى كان يتحدث عنه كمسلم يشهد أن محمدًا رسول الله، ذكر أن أول خطوة خطاها الرجل على هذا الطريق تمثلت فى الارتداد عن الإسلام! وأن عوام أهل اليمن تابعوه على ذلك، وبدأ أبوبكر يخطط للقضاء عليه من خلال دعم الأميرين الآخرين: فيروز الديلمى وداذويه. فى المقابل بدأ «ابن مكشوح» يخطط لقتل المنافسين الاثنين، فقدر على «داذويه» حين دعاه إلى مأدبة وتمكن من قتله، واحترز منه فيروز الديلمى، حين كان فى طريقه إلى مأدبة أخرى دعاه إليها، فسمع وهو بالطريق امرأة تقول لأخرى: وهذا أيضا والله مقتول كما قتل صاحبه، فرجع من الطريق، وأخبر أصحابه بقتل داذويه، وخرج إلى أخواله فتحصن عندهم، وأخذ يجمع المقاتلين من حوله، فخرج لملاقاة قيس فى خلق كثير، فاقتتلوا قتالًا شديدًا فهُزم قيس وجنده من العوام وبقية جند الأسود العنسى.

كان عمرو بن معدى قد انحاز بشكل كامل إلى قيس بن مكشوح وقاتل إلى جواره، ما يدلك على عدم منطقية ما ذكره «ابن كثير» من أن «عمرو» اختلف مع قيس حول مسألة الإسلام، وأن الأول دخل فى الإسلام رغمًا عن قيس، وأن الأخير توعده. فواقع الحال يقول إن عمرو بن معدى لم يسلم من الأساس وإنه ظل على شركه، ولما عاد إلى اليمن- بعد لقاء النبى- انضم إلى الحركة القومية التى يقودها العنسى، وبعد مقتل الأخير على يد قيس بن مكشوح انضم إليه وقاتل إلى جواره ضد وجود العمال المسلمين فى اليمن، خصوصًا داخل صنعاء ونجران، وانتهى المشهد بهزيمة منكرة لدعاة القومية اليمنية، وتم القبض على «ابن مكشوح» و«ابن معدى» وسيق الاثنان إلى أبى بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الملاحظ فى وصفها لزوجها أنها لم تنعته بالارتداد عن الإسلام أو ادعاء النبوة وأنه كان مجرد رجل فاسق لا يقوم لله على حق ولا ينتهى عن حرمة

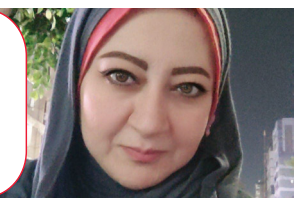

أميرة عز الدين

حواديت بهية

هاميس وبتاع الجاز

كان هناك باستمرار سر خفى بينى وبين الحكايات يحرك شغفى بصورة أكبر من أقرانى للوصول إلى نهاية أى حدوتة يتصادف وتلتقط أذناى أحداثها، بداية من تلك الحواديت التى كانت تقصها علىّ أمى من داخل كتبها الملونة الزاهية، مرورًا بحواديت جدى الذى كان يجمعنا من حوله ليسرد لنا حكايات شواهى أم الدواهى والشاطر حسن وأمنا الغولة؛ فيسرقنا النعاس دائمًا قبل النهاية، ثم حواديت أبى المختزلة فى جمل قصيرة متتابعة عرفت فيما بعد أنهم يسمونها أبيات شعر؛ كان يهواه بكل صُنوفه وعَروضه وبحوره وينظمه فى استمتاع كإرث منحته له الجينات الوراثية عن جدى عزالدين، ثم حواديت المغامرين الخمسة والشياطين الـ١٣ التى تعلمنا أن اسمها مغامرات، وصولًا لحكايات أدهم صبرى وعالمه السرى المثير وحكايات نور ومشيرة الآتية من مستقبل خلاب؛ يتبارى مع أساطير د. رفعت إسماعيل ليشكلوا وجدان أجيال ما زالت تدين لهم بالفضل والولاء.

حواديت بهية

ويومًا تلو الآخر أخذ ذلك الشغف فى التزايد حتى تحولت دون أن أشعر لواحدة من رواة الحواديت، لأكتشف مع كتابتى لهذه السطور أننى طوال سبعة عشر عامًا أو يزيد انطلقت لأحكى وأحكى دون توقف، حكيت عن الحب الواصل بين قلوبنا، وبيننا وبين الله، وبيننا وبين الوطن، حكيت عن نفوس البشر الرحيمة والقاسية والكئيبة والوحيدة والفرحة والمبتهجة والآملة فى وجه الكريم، أخذتنى الحكايات حتى أصبحت فى النهاية درويشة تفترش الطريق أسفل مشربية بهية ست الحلوات؛لتروى عنها ما تيسر مما عاشته منذ آلاف السنين بأعلى درجات الشغف الذى لا ينقطع!

وشغفى بحكايا بهية سبق حتى إدراكى لقدرتى على الحكى من الأساس، لذلك وجدتنى وأنا دون العشرين أتعلق بسطور كتاب «مصر القديمة» للدكتور عيد مرعى؛ والذى كان ضمن المقررات التى درستها شقيقتى فى كلية التربية قسم الفلسفة والاجتماع، كان الكتاب ملخصًا لأبرز سمات الأسر الحاكمة فى مصر القديمة؛ والذى أشعل فى ذهنى وقتها ذكرياتى مع كل ما عرفته عن تاريخنا المصرى القديم سواء من خلال الدراسة أو من خلال القصص والأفلام والمسلسلات، تذكرت حينها حدوتة هاميس والمهندس بتاع الجاز التى جعلت من فيلم «عروس النيل» ملهاة مفضلة لى فى طفولتى.

فى تلك الفترة لم يكن قلمى قد خطّ أكثر من بضع قصص قصيرة ضمن نشاط الأسر الطلابية أو للمشاركة فى بعض المسابقات الأدبية، وقد دفعنى هذا لأبدأ فى مطالعة كتب مختلفة قليلًا عن مغامرات الجيب التى أعدت عليها، لا أذكر على وجه الدقة كيف عثرت على كتاب «الخروج من التابوت» للدكتور مصطفى محمود؛ لكنى أذكر جيدًا أننى وجدت بين سطوره استعراضًا وافيًا لقصة التاسوع الإلهى عند القدماء وكيفية احتفالهم بها مع احتفالهم بعروس النيل فى أعياد الفيضان، حيث صورت قصة التاسوع كيف أن المصرى القديم لم يكن مجرد إنسان عادى كسائر الأجناس؛ بل كانت دائمًا المعرفة جزءًا من جيناته قبل أن يُخلق، ولهذا كنا من أوائل الحضارات- إن لم نكن أولها- التى امتلكت تصورًا لبدء الخلق، حيث تصور القدماء أن الكون كان فضاء أزليًا بلا حياة أو حركة ثم قام «رع» إله الشمس بخلق نفسه بنفسه، ثم خلق «شو» إله الهواء و«تفنوت» ربة الندى والرطوبة من فمه وأنفاسه؛ ليتزوجا بعدها وينجبا «نوت» ربة السماء و«جب» إله الأرض، اللذين أنجبا من زواجهما الآلهة الأربعة لمملكة الموتى «إيزيس» و«أوزوريس» و«ست» و«نفتيس» ليتكون بذلك التاسوع الإلهى الذى يحكم الكون، لكن «ست» غدر بأخيه «أوزير» طمعًا فى سلطانه وزوجته «إيزيس»؛ وقتله ومزق جثته إلى أربع وعشرين قطعة وفرقها بطول القطر المصرى وعرضه، بعدها انطلقت «إيزيس» المحبة لتجمع أشلاء زوجها وتدب فيه الروح من جديد لتحمل منه ابنها الإلهى «حورس» ويموت مرة أخرى، فيكبر «حورس» وهو يحمل على عاتقه ثأر أبيه، ويظل الصراع بينه وبين عمه «ست»- الخير والشر- دائرًا طوال الحياة!

كل عام فى احتفالات الفيضان كان كهنة معبد «آمون» يقومون بتمثيل تلك الأسطورة وهم يرتدون ملابس ناصعة ويفرقون على الرعية فطائر العيد المقدسة التى باركها كبير كهنة المعبد، فنرى كيف كان المصرى القديم يمتلك منطقًا جعله يتأمل فى الكون من حوله حتى وصل لكيفية وجوده من الأساس، وأخذ يسعى للحفاظ على بقائه هذا وجعل حياته أكثر استقرارًا وأمنًا، لذلك كان يقدس كل شىء يساعده على ذلك؛ وعلى رأسها بالطبع نهر النيل الذى يشق قلب مصر ليغذيها بالحياة على مدار مئات القرون!

شعرت مع كل تلك المعطيات المتسارعة التى غزت عقلى وقتها حول تاريخنا القديم؛ أنها إشارة للمضى قدمًا نحو هذا العالم أو على وجه الدقة نحو حقيقة «حابى» إله النيل عند القدماء، فقد تأكدت من كم الافتراءات التى نالت من قدسيته لدى المصريين؛ حيث إنه لم يستقبل أبدًا عروسًا آدمية ولم تكن «هاميس»- أو غيرها- آخر عروس للنيل كما شاهدنا فى الفيلم، بل لم تخسر أى فتاة حياتها على الإطلاق فى الاحتفال بفيضانه، ورغمًا عنى وجدتنى أتوقف أمام المشهد الذى ألقت فيه «هاميس» بنفسها فى عمق النهر برضا تام، وحاولت مَنطَقة السبب الذى يدفع فتاة فى ريعان صباها للاستسلام لهذا المصير، فلم أجد سوى سبب واحد يجبرها على هذا وهو قناعتها التامة بأنها بهذا ترضى الإله، فماذا لو كانت من غير المؤمنين بتلك العقيدة؛ هل كانت ستقدم على التضحية بحياتها؟ بالطبع لا!

ووجدتنى لأول مرة أتخيل حكاية أخرى غير حكاية «هاميس وبتاع الجاز» استغل من خلالها تلك الافتراءات المنتشرة حول «حابى» وعروسه كمحور للأحداث؛ مع الإيضاح أنها مجرد لعبة درامية ليست حقيقية، وقد ساعدنى فى تغذية الفكرة ما قرأته عن سمات الأسرة الحادية عشرة فى تاريخنا القديم، حيث اتسمت تلك الفترة بتوحش نفوذ كهنة معبد «آمون» ليطغى على نفوذ الحكام أنفسهم، ويمكنهم بمنتهى اليسر من السيطرة على مقدرات الدولة بأكملها، حتى إنه ذكر فى بعض الكتب كيف كان كاهن أى بلدة باستطاعته أن يجبر من يشاء من نساء البلدة على خدمة المعبد؛ وهو بالطبع مجرد ستار لكى يتخذ منهن محظيات كيفما يشاء، أيضًا كان بعضهم يجبر الفلاحين على العمل بالأراضى المملوكة لهم دون مقابل؛ بحجة أنهم بهذا يطيعون أوامر ممثل الرب!

> لم تكن «هاميس» آخر عروس للنيل كما شاهدنا فى الفيلم، بل لم تخسر أى فتاة حياتها على الإطلاق فى الاحتفال بفيضانه

وبدأ نسيج حكاية «مانى» فى احتلال عقلى، تلك الفتاة التى يرفض عقلها الإيمان بعقيدة «آمون- رع» والتاسوع الإلهى؛ والتى تتعرض لقهر أحد الكهنة الفاسدين حيث كان يساومها على الرضوخ لأغراضه منها أو أن يأمر بأن تكون هى عروس «حابى» فى هذا العام، وأخذت أدون الحكاية بالطريقة الأقرب لعقلى وقتها كمسرحية ربما أتمكن من تقديمها من خلال مسرح المنوعات الذى تشارك فيه أسرتنا بالكلية كل عام، لكنى انتهيت منها بعد تخرجى لتظل حبيسة الأدراج منذ عام ٢٠٠٢ حتى فترة حكم الإخوان فى عام ٢٠١٣، ومع تصاعد الغضب فى الشارع المصرى وقتها؛ تحولت حكاية «مانى» من مسرحية «حابى» التى كانت تدور حول معنى الإيمان وأثره على نفوس البشر؛ إلى رواية «عهر مقدس» التى حكت لنا عن هروب أسرة «مانى» من طغيان كاهن البلدة خوفًا على مصير ابنتهم؛ ثم عدولهم عن هذا القرار حين شعروا بقدرتهم- هم وباقى أهالى البلدة- على الخلاص منه، فعادوا لبلدتهم بالفعل ليواجهوه، الطريف فى الأمر أن رواية «عهر مقدس» صدرت بالمكتبات يوم ٢٨ يونيو ٢٠١٣!

إلى اللقاء فى الحلقة القادمة مع حدوتة جديدة من حواديت بهية

هالة أبوالسعد

يظل النقاش فيما يخص ملف الدعم العينى وحول الأفضلية إلى تحويله إلى دعم نقدى مطروحًا على طاولة المناقشات، سواء بين المواطنين أو الجهات الرسمية، وتابعت كغيرى من المواطنين، خلال الأيام القليلة الماضية الاجتماعات التحضيرية التى عقدها مجلس أمناء الحوار الوطنى لمناقشة هذا الملف خلال جلساته المستقبلية، والتى سيشارك فيها المتخصصون وأصحاب الشأن؛ ليضعوا أمام الحكومة مقترحاتهم وتوصياتهم لتطبيقها بما يخدم الصالح العام.

تجارب الدول فى التحول إلى الدعم النقدى.. «نجاحات وتحديات»

من هذا المنطلق أود أولًا أن أوضح أن الدعم العينى هو تقديم السلع والخدمات الأساسية المباشرة إلى المواطنين المستحقين، مثل المواد الغذائية وغيرها، بينما الدعم النقدى يتضمن منح المواطنين مبالغ مالية تتيح لهم حرية شراء واختيار ما يحتاجونه.

ونظرًا لما يعانيه هذا الملف من فساد وتهرب وتربح البعض منه، فقد آن الأوان إلى التحول إلى الدعم النقدى تدريجيًا؛ للقضاء على هذا الفساد وضمان وصول الدعم لمستحقيه، خاصة فى ظل ما تتحمله الخزانة العامة للدولة من أموال ضخمة من أجل توفير السلع والخدمات التى يحصل عليها المستفيدون بأسعار أقل من قيمتها الحقيقية، وبحسب ما أعلن عنه وزير التموين الدكتور شريف فاروق فإن الدولة المصرية تقدم دعمًا للمواطنين قيمته تفوق ٦٣٦ مليار جنيه، ودعمًا سلعيًا وخبزًا يتخطى ١٣٥ مليار جنيه، كما أن هناك معضلة كبيرة تخص التلاعب بالدعم العينى، بتوجيه السلع إلى السوق السوداء، وسيطرة التجار والمحتكرين وضياع موارد الدولة، الأمر الذى يدفعنا المطالبة بأن نتجه وبسرعة إلى إلغاء الدعم العينى تدريجيًا وتطبيق نظام الدعم النقدى.

وهناك العديد من الدول التى يمكن دراسة تجاربها فى هذا الشأن، والتى أخذت خطوات جادة فى تحويل نظام الدعم من دعم عينى إلى دعم نقدى؛ بهدف تحسين كفاءة توزيع الموارد ومواجهة الفساد، منها على سبيل المثال البرازيل، والتى أطلقت برنامج «بولسا فاميليا»، وهو نظام دعم نقدى موجه للأسر الفقيرة، والذى ساهم فى تقليل الفقر بشكل ملحوظ وزيادة الإنفاق على التعليم والصحة، والمكسيك التى حولت أيضًا الدعم من عينى إلى نقدى مشروط، والذى ساهم فى تقليل الفقر، وهنا أؤكد بأن تطبيق نظام تحويل الدعم من عينى إلى نقدى يتطلب مواجهة التضخم وضبط الأسعار وضمان وصوله إلى الفقراء، خاصة فى الأماكن النائية، وإلا سيواجه ذلك بعض التحديات، كما حدث عند تطبيقه فى إيران، والذى كان سببًا فى تراجع قيمة العملة الإيرانية وأثر بالسلب على حياة المواطنين.

وعلينا أن ندرك جيدًا بأن نجاح تحول الدعم من عينى إلى نقدى يعتمد بشكل كبير على مدى فاعلية وعمل الأنظمة التنفيذية والرقابية بجانب ضمان وصوله للمستفيدين الحقيقيين، ويمكن ذلك من خلال استخدام الحوكمة والتحول الرقمى.

> الدولة المصرية تقدم دعمًا للمواطنين قيمته تفوق ٦٣٦ مليار جنيه ودعمًا سلعيًا وخبزًا يتخطى ١٣٥ مليار جنيه

أيمن نصرى

الانتخابات الأمريكية وحقوق الإنسان.. هل من جديد؟

يبدو أن الانتخابات الأمريكية المقبلة المزمع إجراؤها فى نوفمبر المقبل قد تحمل مفاجأة كبيرة، أهمها احتمال وصول أول امرأة إلى البيت الأبيض، خاصة بعد المناظرة الأخيرة بين المرشحة الديمقراطية كامالا هاريس ودونالد ترامب، والمثير للانتباه فى هذه المناظرة تسليط الضوء على القضايا الحقوقية، سواء كانت على المستوى الداخلى أو الخارجى، من خلال شد وجذب، دائمًا ما تعودنا عليه خلال الانتخابات بين الحزبين على مدار أكثر من ٥٠ عامًا، يتم فيها استخدام القوى الناعمة، وأهمها حقوق الإنسان؛ لتحقيق مكاسب انتخابية وكسب أكبر عدد من أصوات الناخبين.

من الملاحظ أن الحزبين المتنافسين «الجمهورى والديمقراطى» لهما رؤية مختلفة تمامًا فى استخدام الملف الحقوقى لخدمة مصالح الولايات المتحدة السياسية والاقتصادية، فنلاحظ أن الحزب الديمقراطى يستخدم ملف حقوق الإنسان كورقة ضغط سياسية لحماية مصالحه، فيتبع سياسة الهجوم على بعض الدول، خاصة الكبرى منها، على سبيل المثال مصر؛ ليضغط على الإدارة السياسية لتحقيق مطالب تخدم مصالحه السياسية والاقتصادية فى المنطقة له وللكيان الصهيونى، وذلك على عكس مرشح الحزب الجمهورى الذى يميل بشكل كبير فى عدم استخدام ملف حقوق الإنسان والتلويح بعقوبات، ويعتمد على استراتيجية الحوار المباشر وسياسة تحقيق المصالح المشتركة، وهذا الأمر الذى يعكس ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين فى التعامل مع الملف الحقوقى، وهو الأمر الذى يفقد الولايات المتحدة الأمريكية مصداقيتها، فنجد إدارة تحاول أن تظهر بمظهر الدولة التى تحمى حقوق الإنسان فى العالم، وتسعى إلى نشر الديمقراطية باستخدام ملف حقوق الإنسان كورقة ضغط، فى حين أن سياسة الحزب الأخير على النقيض تمامًا، فنادرًا ما تستخدم الملف الحقوقى كورقة ضغط، وتعتمد على استراتيجية مختلفة تمامًا لحماية مصالحها فى المنطقة بشكل خاص.

والمذهل فى الأمر أنه فى وقت حكم ترامب أشاد بشكل كبير بالتحسينات التى طرأت على الملف الحقوقى المصرى، ليأتى بعدها جوزيف بايدن ليتبنى سياسة مغايرة تمامًا تعتمد على التهديد والتلويح بالعقوبات، وكأن الولايات المتحدة قد اعتمدت فى تقييم حالات حقوق الإنسان على معايير واتفاقيات خاصة بها فقط لا علاقة لها بالعهود والاتفاقيات الدولية التى تحمى حقوق الإنسان؛ مما جعل الأمر أشبه بمسرحية هزلية تتكرر فى كل انتخابات، وأفقدت الولايات المتحدة الكثير من حياديتها ونزاهتها، وجعلتها مصدر سخرية الكثير من دول العالم، التى رأت أن الولايات المتحدة دولة ليست لديها ثوابت واضحة، وتتغير الأمور ١٨٠ درجة حسب مصالحها، وهو أمر يحسب عليها، ويصنفها البعض على أنها دولة تتميز بالسذاجة فى تعاملها مع الملف الحقوقى والسياسى، وهو الأمر الذى أكسب الدب الروسى مساحة كبيرة فى الشرق الأوسط، استطاع من خلالها أن يحسن من علاقاته بدول المنطقة، وعلى رأسها مصر من خلال علاقات مميزة تعتمد فيها مبدأ الاحترام المتبادل وعدم الاعتماد على سياسة الضغط الحقوقى، وهو الأمر الذى أدى إلى تعاون كبير على المستوى العسكرى والسياسى والأمنى والاقتصادى يتطور بشكل مستمر، وهو ما يزعج الولايات المتحدة بشكل كبير وعبرت عنه فى مناسبات عديدة.

ما يحدث فى غزة من تجاوزات حقوقية وإنسانية بدعم عسكرى وسياسى ومادى أمريكى فاق كل التوقعات، ورفع سقف التجاوزات فى ملف حقوق الإنسان إلى مستوى غير مسبوق جعل من محاسبة أى دولة ترتكب تجاوزات فى ملف أمرًا شبه مستحيل؛ نتيجة لفشل مجلس الأمن فى معاقبة إسرائيل على ما ترتكبه من جرائم حرب فى حق الشعب الفلسطينى، وهو الأمر الذى صعّب بشكل كبير جدًا من مهمة المجلس الدولى لحقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة فى ممارسة دوره فى حماية حقوق الإنسان، وتعزيز هذه الثقافة فى الدول الأعضاء بالجمعية العامة الـ ١٩٣ وأفقده جزءًا كبيرًا جدًا من قدرته على التأثير وحمايته حقوق الإنسان، وهو ما حول هذه الأمم المتحدة إلى كيان معطل تسيطر عليه الدول الأعضاء دائمة العضوية، مما أفقده جزءًا كبيرًا من قدرته على مواجهة التجاوزات والانتهاكات التى تحدث فى مختلف دول العالم فيما يخص الوضع الحقوقى والإنسانى.

عندما نتحدث عن حقوق الإنسان لا يمكن أن نغفل الدور المهم التى تقوم به المنظمات الحقوقية، وهو رصد وتوثيق التجاوزات والانتهاكات وتقديمها للمجتمع الدولى دون تحمل أى وجهة نظر سياسية، مع تقديم توصيات للدولة صاحبة التجاوزات لحل هذه المشكلة، وهو الأمر الذى افتقدته أكبر منظمة حقوقية، وهى منظمة أمريكية، وهنا نتحدث عن هيومن رايتس ووتش، والتى استخدمتها الولايات المتحدة فى مناسبات عديدة كورقة ضغط، ما حولها إلى منظمة حقوقية لها أجندة سياسية، وتعتمد تمويلًا مجهول المصدر، وفشلت أكثر من مرة فى إثبات مصدره، لكن مع كل هذه التحديات يظل دور المنظمات الحقوقية مهم جدًا فى عملية الرصد والتوثيق وتقديمها للمجتمع الدولى طبقًا للمعايير والضوابط الدولية مع التأكيد على أن هذه المنظمات ليست صانعة القرار، بل يظل القرار والتغيير فى يد القوى السياسية الدولية، والتى تتحكم بها الولايات المتحدة الأمريكية، وبرغم هذه التحديات ستستمر المنظمات الحقوقية المحايدة فى أداء عملها دون توقف على أمل أن تحدث استفاقة دولية تستخدم التقارير الصادرة عن المنظمات الحقوقية فى إدانة الولايات المتحدة وإسرائيل.

وفى نهاية مقالى أود أن أشير إلى خطورة تفاقم وتدهور الأوضاع الحقوقية والإنسانية فى الكثير من دول العالم، على رأسها دول الصراع المسلح، وهو الأمر الذى يحتاج إلى تحمل الدول الكبرى مسئولياتها والتدخل العاجل لمنع تفاقم هذا الوضع الذى بدا أنه يخرج عن السيطرة وإصلاحه أصبح صعبًا جدًا.

> رغم التحديات ستستمر المنظمات الحقوقية المحايدة فى أداء عملها دون توقف على أمل أن تحدث استفاقة دولية

إبراهيم عبدالفتاح

أنا وشادى

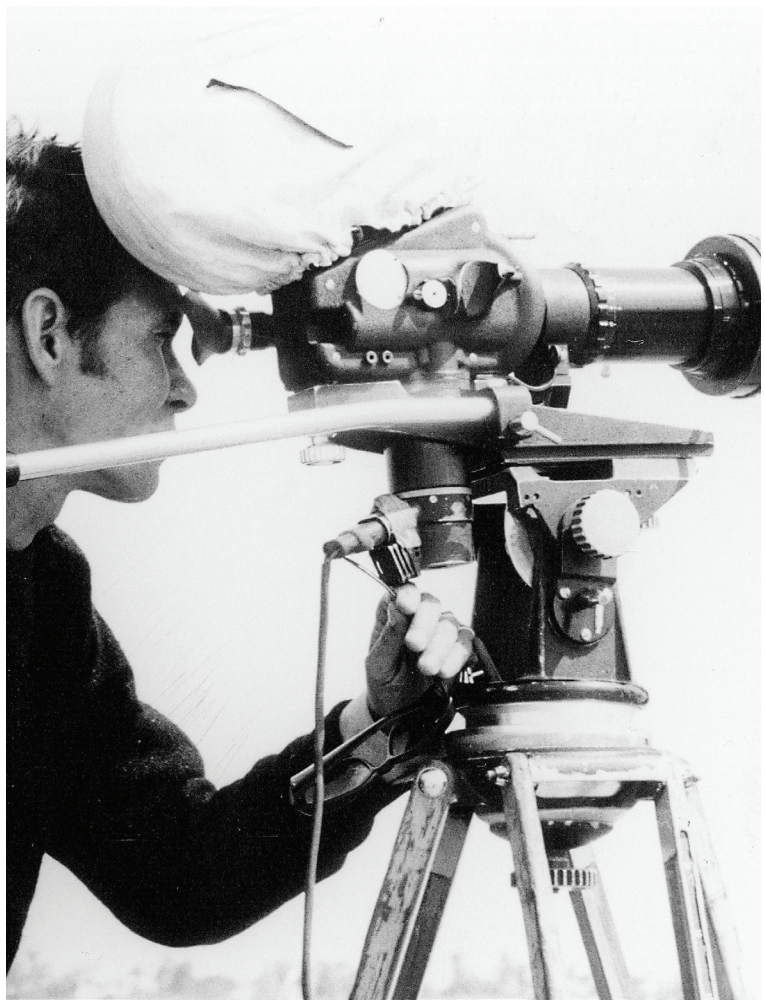

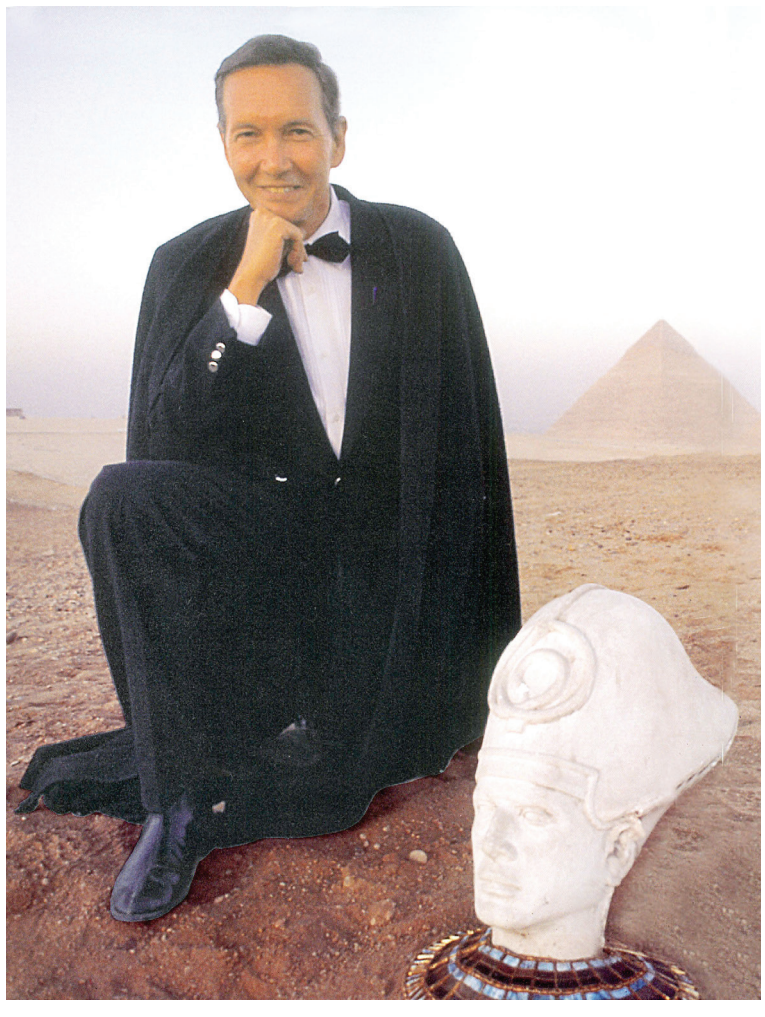

كان لدى إحساس قوى ودائم بأن أحدهم سيعترض طريقى طالبًا منى أن ألعب دورًا مهمًا بأحد أفلامه، ورغم إخفاقات عديدة لم يغب إحساسى بذلك أبدًا، ذات مساء شتائى من عام ١٩٨٢ كنت أجلس بأحد مقاهى وسط البلد حين مر مصادفة صديقى على موسى فسألنى إن كنت قد ذهبت للقاء شادى عبدالسلام، لكنى كنت نسيت تمامًا فأخبرنى موسى أن المكتب على بعد خطوات من المقهى وطلب أن أمر وأتعرف على الرجل قبل أن ينصرف لحال سبيله

حين دقت الخامسة مساء كنت أمام البناية رقم ٢٦ بشارع فؤاد، ركبت المصعد حتى الطابق السادس وقرعت الجرس مرات ومرات لكن أحدًا لم يفتح، فقررت الرجوع من حيث أتيت، كان أحدهم قد سحب المصعد فانتظرت حتى صعد، انفتح الباب عن رجل بدا من هيئته أنه ممسوس بالفن، اقترب منى متفحصًا وجهى ثم دار حولى دورة كاملة قبل أن يسألنى: رجب المصرى؟ نعم ياسيدى، وهو يفتح باب المكتب قال باقتضاب: شادى فى الطريق، اسمى صلاح مرعى، أدار موسيقى كلاسيكية وركن إلى كرسى بعد أن أشار لى بالجلوس، مرت نصف ساعة تقريبًا دون أن يبادر أحدنا بالحديث، كنت أتأمل أثاث المكتب العتيق واللوحات التى تزين الجدران وبعض منحوتات للوك وأفراد، بدا المكان كما لو كان معبدًا مصريًا قديمًا حين شرد صلاح فى تأملاته، حتى وصل شادى، صافحنى مبتسمًا: طولك مناسب تمامًا وأضاف: اخلع قميصك، أربكنى طلبه فسألته ضاحكًا: هو الفيلم أكشن ولّا إيه؟ لكنه لم ينطق وطوق عنقى بعقد فرعونى ثم راح يلتقط بعض الصور: لقد شاهدتك وأنت تلقى قصيدتك وطلبت إلى صلاح وأنسى ومبروك أن يشاهدوا الحلقة واتفقنا أنك الأنسب لأداء الدور، كانت مفاجأة مدهشة بالنسبة لى فقد ظننت أنه أرسل فى طلبى كشاعر، قلت: لدىّ بعض تجارب بالمسرح لكنى لم أقف أمام كاميرا من قبل، قال: ملامحك مصرية خالصة، صوتك معتق وحضورك لافت ثم صحبنى برفقة صلاح إلى غرفة مكتبه، كان قد لحق بنا محمود مبروك وأنسى أبوسيف ومحمد قايد، ثم ناولنى نسخة من سيناريو الفيلم «مأساة البيت الكبير» أو إخناتون، قبل أن أتصفحها بادرنى: هذه نسختك اقرأها جيدًا ودون ملاحظاتك حتى موعدنا القادم، اعتلت الدهشة وجوه الحضور وقال صلاح: هى المرة الأولى التى تخرج نسخة من المكتب، وأضاف أنسى: هى مسئولية أتمنى أن تليق بها، وشدد محمود مبروك أن أدون ملاحظاتى فى ورقة مستقلة، أما قايد فقد اكتفى بابتسامة، صافحتهم وانصرفت على موعد بلقاء خلال أسبوع، قرأت سيناريو الفيلم غير مرة ودونت ملاحظاتى وذهبت فى الموعد المحدد، حين وصلت كان شادى منهمكًا بإصلاح خاتم ذهبى بإحدى الغرف، أشار لى بالجلوس وهو يتصبب عرقًا فحاولت أن أناوله منديلًا لكنه لم يلتفت، فى الصالة الكبيرة جلس صلاح ومحمود ومحمد قايد يحدوهم صمت بليغ، مضت ساعة تقريبًا على هذه الحال دون أن يهمس أحدهم أو يبادر بسؤالى عن رغبتى فى شراب أو خلافه وكأنما هى صلاة صامتة سيفسدها الكلام حتى صاح شادى كمن وجد ضالته: وشك حلو ماجيتش بدرى شوية ليه؟ قضيت نصف اليوم فى إصلاحه، شكرته بخجل ولم يمنعنى فضولى من سؤاله عن أهمية الخاتم بل واقترحت عليه أن أقتنى له مثله وما يريد، فهناك محال كثيرة تبيع حليًا مقلدة من قشرة الذهب فأجابنى بيقين: الكاميرا لا تكذب، وهل لمعة الذهب كلمعة القشرة.

> الكاميرا لا تكذب وهل لمعة الذهب كلمعة القشرة

إبراهيم داود

هل كان سعد الدين حسنًا؟!

«سعد الدين حسن.. هل كان سعد الدين حسنًا؟»، هكذا كان يُعرّف صاحب «احترس القاهرة» الآخرين عليه فى بداية التعارف، ويذكّر بها أصدقاءه آخر الليل، عرفته وأنا طالب فى الجامعة بطنطا أوائل الثمانينيات، يجلس فى مقهى «العثمانلية»، الذى كان ملتقى المثقفين والمبدعين آنذاك، أمثال فوزى شلبى ومحمود حنفى كساب ويحيى شرباش، وصالح الصياد وأحمد عزت سليم وعلى عبيد ويحيى خلف وآخرين. كان خارجًا من تجربة فى غاية الغرابة فى السكة الحديد، وعاهدنى أكثر من مرة على كتابتها، ولكنه لم يفعل، ولكنه أطل عليها فى مجموعته الأولى وهو يكتب عن مساعد كمسرى مريض نفسيًا.

كانت وظيفة سعد التى قضى فيها ثلاثة أعوام هى الجلوس فى العربة الأخيرة من قطار البضائع المتجه إلى مرسى مطروح حاملًا «فانوس»، تجربة تجمع بين السأم والتأمل والمغامرات، كثيرًا ما كان القطار يتوقف فى أماكن غريبة بسبب الرمال التى تغطى الجدران، ويشارك سعد السائق ومساعده والعطشجى إزاحتها لكى تكتمل المسيرة.

كان يحكى تفاصيل التجربة بسعادة لا تتلاءم مع قسوتها، كان حريصًا على هندامه، وتلميع حذائه الأبيض، كان يفضل أيامها البدل البيضاء، لأنه بعد المقهى ينتقل إلى مكان يُشبه إلى حد ما جروبى سليمان باشا اسمه الأقصر، تسهر فيه نخبة طنطا من التجار والسياسيين ووجهاء المجتمع، تصادقنا سريعًا، كنت فى بداياتى مع الشعر وكانت ذائقة سعد الرفيعة بوصلة حقيقية، عرفت أهله فى منطقة «سيجر»، وكانت أمه «تشيل لى منابى» إذا قال لها سعد إننى قد أذهب معه.

كان يعد لإصدار مجموعته الأولى «احترس القاهرة» عن مطبوعات الرافعى، التى قدمها بمقطع من ربيع أسود لهنرى ميلر «لا تزال أمامى عشرون سنة وهذا الشىء لا يفتأ يزداد سوءًا كل ساعة. إنه يخنقنى، فى غضون عشرين عامًا لن يبقى هناك رجال رقيقون أحباء ينتظرون ليحيونى. كل صديق حميم موجود حاليًا هو ثور ضائع إلى الأبد، إننى محاصر بسور من الفولاذ والأسمنت. والرصيف يزداد صلابة على صلابة. العالم الجديد ينهشنى من الداخل. يصادرنى، وقريبًا لن أحتاج حتى إلى سم».

بعد أكثر من أربعين عامًا من الصداقة، وبعد أن وصلنى خبر رحيله تذكرت هذا المقطع، واستعدت شريطًا من الذكريات كان سعد فيه عنوانًا للرقة والعذوبة والبهجة والموهبة، شخص عف اللسان يتمنى الخير للآخرين، لم يزاحم أحدًا على شىء، وعاش للكتابة، واختار عالمًا شجيًا وأبطالًا حقيقيين فى الدلتا لكى يخلد مصائرهم بلغته الفريدة التى تقترب من الشعر، عالمه قريب من عوالم عبدالحكيم قاسم ومحمد البساطى، ولكنه يختلف عنهما ببحثه عن أشكال جديدة يضع فيها خبراته مع الناس والكتابة.

فى تقديمه مجموعة «عطر هارب» اختار مقولة محيى الدين بن عربى «الحرف يسرى حيث يراد به القصد»، و«تينسى ويليامز» مقولة «لطالما كتبت لضرورات أعمق مما تتضمنه كلمة حرفة». الكتابة عنده ليست حرفة، رغم أنه الوحيد فيمن عرفنا الذى كتب فى خانة المهنة فى بطاقته «كاتب قصصى حر»، نجح سعد من خلال أعماله القليلة فى التأكيد على أن فن القصة القصيرة لا يزال قادرًا على المفاجأة، بشرط تطعيمه بخبرات مختلفة.

تتجلى طاقة صاحب «أول الجنة أول الجحيم» كسارد قادر على خطفك إلى عالمه والتجول بك وهو يتحدث عن سيرة عزبة الجسر فى الكتاب الذى يحمل الاسم نفسه، «فى النهار لا يحد روحها العجيبة شىء، وفى الليل تأخذ مكانها بين النجوم، محاطة بتيجان من النخيل والأرواح والجميز والكلاب والجازورين والنحل، والكرنب والحمام والزرائب والهاموش والخبازى والعفاريت والقرنبيط، والأحلام والهواجس والبصل وعنب الديب والسك والترع وطائر زمار النار، ولا تلم جسدها حين تطير.

عزبة الجسر صريحة وواضحة ولا تخجل من حقيقتها العارية.

ها أنت غير مدركة باللمس، مثل ريح تهس لنفسها فى الفجر مغطاة بالأنفاس واللهاث والعيون، مثل سهيم القلب، من بين أوتارك تنسرب الهواجس والأحلام، والأخيلة تدفع أمامها أسراب الصور، هكذا أنت دائمًا حين تدخلين تحت حرامك الصوف.

أنت وردة الطلسم والحلبة، وهن أكمامك، طنطا شمالًا، المحلة الكبرى جنوبًا، شبشير الحصة شرقًا، القرشية والبندرة غربًا، ها أنت فى المنتصف تمامًا، قلب الكون ومحيطه، اصغ...، لامتدادك وتضاريسك نغمات ناى مصرى عجيبة، أنت عاصمة الوجود إذن يا عزبة الجسر».

كتابة فيها فتوة ورقة وتأمل، لم يبحث سعد عن عوالم تعجب المستشرقين والناشرين، هو يضع غلالة رقيقة على البيوت والشوارع والبشر المنسيين الذين يراهم كتاب الحكايات ولا يقتربون منهم. فى سنواته الأخيرة تفرغ لنهر النيل وكتب أسطورته بروح فنان، نشرت له فصلًا فى مجلة «ديوان الأهرام» قبل تسع سنوات وفصلًا آخر فى مجلة «إبداع» بعد ذلك بثلاث سنوات، كتابة كبيرة احتشد لها بالمعرفة والموسيقى والإحساس بالمسئولية، وبلغة سعد المحلقة المعهودة، ولا أعرف مصير هذا الكتاب العظيم بعد رحيله. علاقتى الشخصية بسعد والحكايات التى جمعتنا يضيق بها المكان، وأتمنى أن أقبض على صديقى الحبيب فى كتابة تليق به، وبالأيام والليالى والصداقات التى بيننا.. ألف رحمة ونور على روحك يا سعد.

> الكتابة عنده ليست حرفة، رغم أنه الوحيد فيمن عرفنا الذى كتب فى خانة المهنة فى بطاقته «كاتب قصصى حر»

عبدالرحيم طايع

الاختلاف فى الرأى وقضية الود

المشهور أن «الاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية»، والمضمون أنه يفسد قضايا الود مجتمعة للأسف، هذه كارثة طبعًا، فالحياة قائمة على الرأى والرأى الآخر، ومعنى أن الرأيين المختلفين يفسدان ود صاحبيهما، أو أصحابهما، هو أن الحياة ستصير دار تباغض وتناحر، وهذاك الحاصل فعلًا، وإن كان الود يفضى إلى التفاهم، ولو بعد حين، فإن التباغض والتناحر لا يفضيان إلى قيمة إيجابية بتة، بل إلى الخراب غالبًا.

شهرة العبارة هكذا، بصورتها الوديعة، مع تناقض ظلالها فى الواقع؛ أمر محير فعلًا، وكأن الذى قالها كان يكتب أمنية خاصة ولا يقر حقيقة، كان يريد التهدئة التى يجرى عكسها عادة مع الخلاف، ولم يكن يقصد أنها حاصلة، كان ينبهنا إلى ضرورة أن نتغاير باحترام وشرف؛ فلسنا نقف من بعضنا موقفًا محترمًا ولا شريفًا عند التغاير مهما أبدت ملامحنا رضاها بحيال ذلك المقام!

من العجيب أن العداوة تنشأ بين الناس لأبسط الأسباب وأتفهها، واحد يرى المانجا سيدة الفاكهة والآخر يرى التين هو السيد، كل منهما يريد من الآخر أن يختار اختياره، وكل منهما لديه حججه المنطقية، ولا يقال بالمرة: إنهما فاكهتان رائعتان، وإن التنوع فى الاختيار ينعش السوق ويمنح الأذواق استقلاليتها، وفى النهاية لا يصح أن ينجم عراك عن شأن صغير كمثل هذا الشأن، لا ضرر فيه على الإطلاق إلا بمقدار ما يوجد مرض، مثلًا، يمنع من المبالغة فى تناوله، ولا يمنع تناوله من الأصل.

لا أفهم أن يقع العداء بين هذين المذكورين آنفًا، لكنه يقع، وقد لا أفهم أن يقع بين حالات أكبر، كشخص يحبذ الحرب، كطريقة لإنهاء صراع ما، وشخص غيره يحبذ السلام، كطريقة لإنهاء نفس الصراع، هنا يبدو الاختلاف فى التوجه شاسعًا، ومع ذلك لا أجده يستوجب إفساد الود، سيحدث على الأرض ما سيحدث عليها أخيرًا، والرأيان لا يحددانه، تحدده إرادة سواهما، ومهما اتفقت هذه الإرادة مع أحد الرأيين فإنها لا تقصده بالاتفاق، وإنما جاءت، بالصدفة، على هواه.

> التنوع فى الاختيار ينعش السوق ويمنح الأذواق استقلاليتها

نعم يجب أن نكون على نمط واحد أمام موضوعاتنا الحساسة المؤثرة، ولكن الاختلاف وارد بالرغم من أهمية ذلك، بيد أن العاقبة، عاقبة الاختلاف، يجب ألا تكون تعزيزًا له بحيث يختلف الطرفان كما اختلف الرأيان، ولكنها يجب أن تؤخذ على أنها تنوع طبيعى يلائم تنوع الوجود نفسه وتعدد أشكاله.

لم يكتف المختلفون فى الدنيا بالمقاطعة، لكنهم دخلوا حروبًا ضارية، رام كل منهم فيها الانتصار على حساب الإنسانية والعمران، ولم يكتف المختلفون فى السوشيال ميديا بالحذف و«التبليك»، ولكنهم نشروا فضائح بعضهم على الملأ وتوسعوا فى المعايرة وتبادل السباب، وأوشكت كل جبهة أن تخترق زجاج الشاشات ممسكة بسكاكينها ومدافعها الرشاشة.

لنعد إلى أصل الكلام بلا ازدواجية قد تشير إلى اضطرابنا النفسى، بالأساس، قبل أن تشير إلى أى شىء آخر: «الخلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية».

محمود العسقلانى

سيكولوجية الاستوزار فى عموم الديار

الوزير قبل استوزاره شخص مصرى طيب القلب متجاوب ومتصالح مع نفسه ومع الناس، يرد عليك السلام بأفضل مما تقول- تراه كثيرًا فى المسجد والشارع والمقهى والنادى وعلى السوشيال ميديا تراه متفاعلًا، ولو على سبيل التلايك بليكاية يتيمة، وتراه اجتماعيًا فى الأفراح والأحزان والمناسبات، وحينما يستوزر سواء كان حاملًا لحقيبة وزارية أو محافظًا لإحدى المحافظات- يتحول الشخص الوزير، ويصبح إنسانًا مستوزرًا- إنسان بشرطة، وحتى نكون منصفين البعض منهم يعمل ميدانيًا ومكتبيًا بما لا يتيح له مشاهدة أولاده وأحفاده وأسرته وأصحابه، وتلك ضريبة قاسية يدفعها الوزير وأسرته.

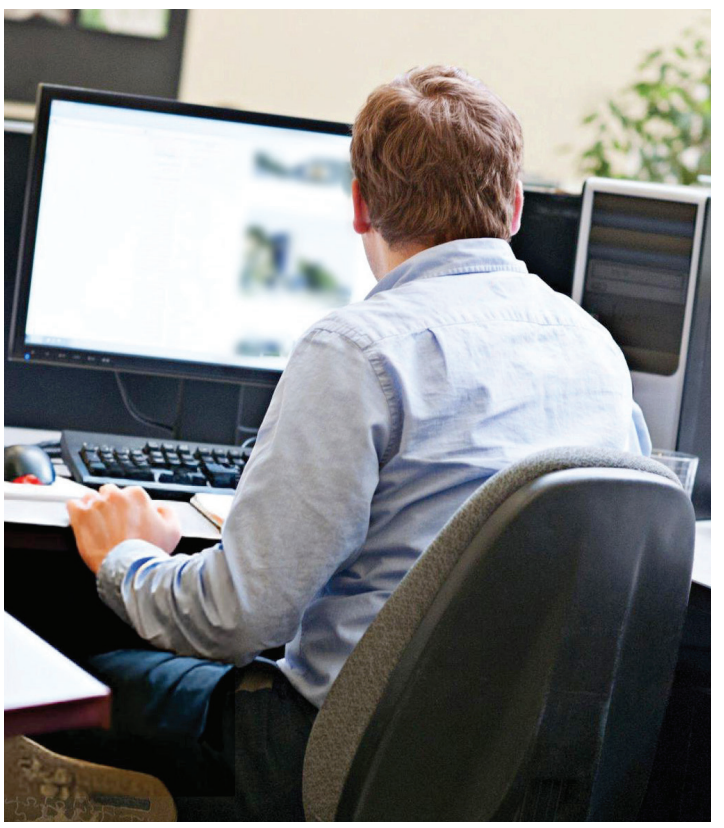

الإنسان الوزير قد يصبح وزير إنسان عطوف على الرعية طيب القلب مفعم بالحنية- عظيم الإنسانية، وهم نوعية من الوزراء لا يستمرون كثيرًا، وفى غالب الأحيان يستمر معنا وزراء يقولون إنهم خبرة خابرون خبراء فى البيروقراطية الحكومية وطرائق الاستدامة على المقاعد الوزارية، وكثير منهم له علاقة مغناطيسية مع الكرسى.

فى وقت سابق، أعاد محافظ أسيوط السابق لوزارة المالية أكثر من ٧٠٪ من الموازنة الاستثمارية للمحافظة، وذلك ليس لأنه محافظ مدبراتى تعلم فى حصة التدبير المنزلى كيف يقتصد كما سيدة تدبر فى الميزانية لزوجها الشقيان، وليس محبة فى وزير المالية السابق معيط، ولكن محبة فى نسبة ١٠٪ التى تمنح للمحافظ الدبر بكسر الدال وليس بضمها، ورغم أن أسيوط فى أيامه صارت خربة تعرفها من تلال القمامة ومطبات شوارعها- ورغم أنها ليست محافظة أوروبية أو إسكندنافية غنية، وتحتاج الموازنات التى ترصدها الدولة- إلا أن معاليه رد الهبة للحكومة- وكأنه يقول للحكومة «مش عايزين من وشك حاجة»، وأسيوط ربما ليس لديها تراب تكحه.

> القيمة الحقيقية أن يستغل المسئول الكرسى فى تنمية الوطن

وأعرف محافظًا آخر لمحافظة صعيدية علم بخروجه فى التشكيل الأخير، وقد طلب سيادته مضاعفة موازنة الخطة الاستثمارية، وتبين أنه يعظم المخصصات المالية حتى يعيد المخصصات للحكومة- طمعًا فى العمولة العشرية.

وقد أحسب أن المحافظ يُمنح العشرة فى المائة إذا أقيم مشروع تكلفته مائة مليون وقد استطاع بحركته ومتابعته وعبقريته أن يوفر ٢٠ مليونًا مثلًا، وهنا تكون النسبة المقررة جائزة له- أما أن يطلب سيادته موازنة ضخمة، ويحرم الناس، ويقتر عليهم كما الأب البخيل الذى يرى أمامه أطفاله ممزقة ملابسهم يتضورون جوعًا، ويمنع عنهم المال- فإنه محافظ يستحق العقاب وسوء العاقبة.

وعلى النقيض أعرف محافظين ناجحين طلبوا دعمًا للخطة الاستثمارية، وللأسف الشديد خرجوا فى حركة المحافظين الأخيرة بينما استمر الخبراء فى تستيف الأوراق والشفط «والشقط» لأموال الدولة، وهنا يتأكد لنا أن النوعية الأخيرة من المحافظين ليسوا خبراء ولكن خوابير- إنه الفارق الواقعى بين الوزير الخبير والخابور الكبير.

سيكولوجية الوزير عقب صدمة الخروج المباغت- حالة قمصان، بالبلدى معاليه «بيتقمص» شويتين، ومن نعمة الله على عباده من الوزراء نعمة النسيان وربما التوهان- فيما يرضى البعض منهم بالقضاء والقدر وهم الوزراء المتصالحون مع أنفسهم، والذين يدركون قبل المنصب أن الكرسى كما كرسى الحلاقين كم من المستوزرين جلس عليه، وكم من وزراء سوف يجلسون عليه-القيمة الحقيقية أن يستغل المسئول الكرسى فى تنمية الوطن.

ومن الوزير الخبير إلى الوزير الذى جعل الله له من اسمه نصيبًا، الوزير كامل الوزير، والذى كتبت فى هذه المساحة مؤيدًا ومدافعًا عنه، وهو دفاع مستحق بشواهد واقعية- أعقبته حملة من الهجوم الإلكترونى مما يؤذى المشاعر المرهفة لأمثالى، ولكنى الآن أختلف مع الوزير لأنه حاول تفتيشى واقتناص ٥٠ جنيهًا رسوم الدخول لمحطة رمسيس، وقد كنت مسافرًا لزيارة عائلتى فى أسيوط وكان برفقتى نجلى محمد، وكان يحمل عنى حقائبى- بديلًا عن الشيال حتى أوفر عشرة جنيهات، وإذا بمعاليه يفرض خمسين جنيهًا دفعة واحدة، وما لا يعرفه معالى الوزير أن العبد لله نتاج خلطة بين الخواجة كوهين والخواجة صروف وأختهما راشيل وفى قول أدق- خليفة المفكر توفيق الحكيم فى حرصه وتقتيره رغم بحبوحته الفكرية والأدبية.

معالى الوزير لم يمكن ابنى، وهو الذى كنت أحمله فوق كتفى وظهرى ليرد الجميل لأبوه- منعه من أداء هذا الدور الإنسانى فارضًا رسوم ٥٠ جنيهًا لدخول المحطة، وهى رسوم مجحفة، وعلى مداخل المحطة هناك بوابات بذكاء اصطناعى تمنع الأهل من وداع ذويهم- يرى البعض أنها رسوم انتظار فى التكييف وقد لوحظ كثيرون يستمتعون بالتكييف لفترات طويلة نظرًا لارتفاع فاتورة الكهرباء فى بيوتهم، ويقول البعض إنها رسوم وداع ونحنحة فارغة ودموع وداع وربما دموع تزرفها العيون حزنًا على تذكرة عبور البوابة فئة ٥٠ جنيهًا، وربما خوفًا من قادم يكون الدخول فيه إلى غرفة برفقة أم العيال بكارت ممغنط مسبوق الدفع، ورسالتى لمعالى الوزير الذى أشرف بمعارضته وليس مكايدته أن يتم تخفيض المبلغ لخمسة جنيهات فقط، وآمل أن توقف الحكومة مثل هذه الحركات التى تخلق حالة عداء مجانى وغضب يتراكم فى النفوس- حتى يشعر المواطن بأنه مواطن مبخوت وليس منحوسًا.

محمد العسيرى

مهرجان الموسيقى بين الهوى والهوية

أيام قليلة تفصلنا عن بداية دورة جديدة لمهرجان الموسيقى العربية.. لا أعرف العدد.. ولا يهمنى أن أعرف بعد أن تشابهت علينا المهرجانات، ولم يعد لبعضها أو لمعظمها أى خصوصية.. كلها مهرجانات.. كله زى بعضه. مهرجان الموسيقى العربية.. هو الأقدم.. فى المنطقة.. وهذا هو اسمه.. ولا أعرف ما هى علاقتنا نحن والموسيقى العربية؟.. هوه إحنا.. أقصد العرب يعنى عندنا موسيقى؟

لقد طاردنى هذا السؤال منذ فترة.. وانتظرت أن يقوم أحد الأكاديميين بطرحه فى أى مؤتمر.. أو عمل بحثى جاد.. فضلًا عن الإجابة عنه ولم يحدث.. حاولت أن أبادر بذلك مرات عدة وكان هناك ما يمنع.. من أول حرج السؤال فى وقت يتمزق فيه العرب.. ويتيهون.. ويتخطفهم الأغراب من كل صوب.. وفى كل المجالات.. حتى تأجل المؤتمر الأخير الذى تزامن مع بدايات عملية طوفان الأقصى.. ثم غادر الصديق خالد داغر موقعه فى الأوبرا ومن بعده هانى فرحات، رئيس المهرجان.

لماذا إذن أطرح السؤال الآن؟ وأرجو أن يتسع صدر العزيز خالد داغر.. فالأمر لا يتعلق بالمهرجان فى دورته الحالية.. الأمر أقدم وأبعد من ذلك.. وإن كان غضب الناس من أسعار تذاكر هذا العام وإحساسهم بتحوله إلى سبوبة أمرًا يدفع فى اتجاه السؤال ذاته.. جدوى إقامة كل هذه المهرجانات من الأصل دون خصوصية لأحدها.. فمهرجان القلعة لا فرق بينه وبين مهرجان الأوبرا سوى فى أسعار التذاكر، ولا فرق بينهما وبين أى مهرجان فى الإسكندرية أو دمنهور سوى فى موقع إقامة الحفلات.. فارق جغرافى ليس إلا.

أعود للسؤال الأهم: هل هناك بالفعل ما يسمى بالموسيقى العربية؟.. بالطبع لا.. نحن مراوغون وكاذبون ليس أكثر.. ليست لدينا موسيقى عربية.. وإن وجدت فليدلنى أحدكم عليها.. إنها أكذوبة مثلها مثل السوق العربية المشتركة ليس أكثر.. نحن لدينا غناء بلهجات عربية متعددة تصاحبه موسيقى عثمانلى من أيام الاحتلال.. ليس أكثر.. أو كلمات بلهجات عربية متنافرة على موسيقى غربية منتحلة حينًا ومسروقة فى أغلب الأحيان.. هذا باستثناء محاولات فردية فى أزمنة متباعدة لعدد من العباقرة.. الشيخ محمد المسلوب.. محمد عثمان.. القصبجى.. سيد درويش.. الشريف.. محمد فوزى.. وبليغ حمدى.. ومن أجيال تالية محمد نوح.. وفيما عدا ذلك نحن غارقون فى الموشحات الأندلسية والأمان يا لا للى التركى.. فأين هى بالله عليكم موسيقى العرب حتى نقيم لها مهرجانًا سنويًا؟

هناك موسيقى الشمال الإفريقى بتجلياتها المتوسطية.. وفى السودان موسيقاه الإفريقية.. وفى جنوب مصر كذلك.. وفى اليمن والعراق موسيقى تأثرت بعوامل مختلفة.. وفى مصر هناك امتداد للموسيقى المصرية القديمة البديعة، التى أبهرت الكل شرقًا وغربًا، حين تم استدعاؤها فى حفل نقل المومياوات.. فأين هى موسيقى العرب؟

هل المهرجانات موسيقى عربية؟.. هل الزار موسيقى عربية؟.. هل الراب والراى موسيقى عربية؟.. أين هو الأصل وما الظواهر العارضة والدخيلة؟.. كم كنت أتمنى أن تخصص اللجنة العلمية برنامجها هذا العام لطرح هذه الأسئلة والإجابه عنها.. سؤال الهوية بات أمرًا ملحًا الآن وليس غدًا.. بعد أن تحول الأمر برمته إلى شو استعراضى سخيف.

> الأبحاث التى يناقشها المهرجان مهمة بالطبع.. لكنها لا تتجاوز أبحاث الترقية والحصول على درجات علمية من عام إلى آخر

الأبحاث التى يناقشها المهرجان مهمة بالطبع.. لكنها لا تتجاوز أبحاث الترقية والحصول على درجات علمية من عام إلى آخر.. نفس ما نفعله فى أروقة الأكاديميات والجامعات.. ليس أكثر.. حتى رسخ فى الذهن أنه لدينا بالفعل موسيقى للعرب.

الإجابة.. أو محاولة الإجابة.. ليس عبثًا.. والسؤال ليس كرسيًا فى كلوب الفرح المنصوب بلا عرس.. إيه الفائدة من هذه المهرجانات.. سوى الترفيه؟.. هل تحول العلم إلى مجرد ساحة هوى يتنافس فيها.. فيما صار العلم مكررًا ومعتادًا مثل نجوم المهرجان بالضبط؟.. كل هؤلاء النجوم أصدقاء أعزاء ووجودهم فى المحافل ضرورة.. لكن أى محافل بالضبط.

لقد تماهت المهرجانات.. حتى صارت حفلًا واحدًا من فقرات متتالية توزع حسب أشهر السنة الاثنى عشر.. صارت عملًا معتادًا لتشغيل مجموعة من الموظفين ليس أكثر.. لو لم يعملوا ما اعتادوا عمله ما حصلوا على حوافزهم المعتادة.

نحن فى حاجة عاجلة.. إلى نظرة أخرى لما نفعل فى واقعنا الثقافى.. كل هذه الفعاليات المعتادة والمكررة تحتاج إلى وقفة.. جادة.. فاعلة.. واستمرار إقامة الفعاليات بنفس الشكل والطريقة إهدار لقيمة واسم وتاريخ القاهرة.. بالمناسبة يعنى إيه مهرجان موسيقى عربية؟.. وسأتجاوز مؤقتًا عن فكرة عدم وجودها من الأصل.. يقام فى دار الأوبرا.. أين تعزف الأوبرا إذن؟ هل نذهب بها إلى استاد القاهرة مثلًا؟

لقد ضاعت منا أعمارنا فيما لا جدوى منه.. ولا هدف.. لأننا ببساطة استسلمنا لما هو معتاد.. لما تعودنا أن تمارسه أرجلنا وأيادينا دون تفكير، فقد بات التساؤل أمرًا محرمًا فى بعض الحالات.. وأعتقد أننا فى حاجة الآن وليس غدًا لمراجعة ما تعودناه.

أشرف إسماعيل

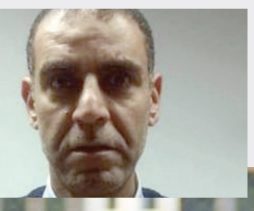

جوزيه جوميز والزمالك.. من يدفع ثمن العناد؟

لا أعلم لماذا يصر البرتغالى جوزيه جوميز المدير الفنى للزمالك على رفض التعاقد مع قلب دفاع ولاعب وسط مدافع قبل غلق باب القيد يوم ٢٥ أكتوبر الجارى رغم حاجة الفريق لتدعيم المركزين.

إدارة الزمالك كانت قريبة من ضم محمود جهاد لاعب وسط فاركو والمنتخب الأوليمبى الذى يشبه فى أداءه نبيل عماد دونجا لاعب الزمالك لكن الإدارة احترمت قرار جوزيه جوميز بعتباره المسئول الأول عن الأمور الفنية وتحديد احتياجات الفريق لأن ضم لاعب دون رغبته لن يفيد الفريق.

موقف جوزيه جوميز ليس له مايبرره لأن الزمالك تنتظره تحديات كبيرة محليا وإفريقيا خلال الموسم الجديد أهمها المحافظة على لقب الكونفيدرالية واستعادة درع الدورى ويحتاج الفريق لبدلاء بنفس مستوى الأساسيين فى كل المراكز.

جوزيه جوميز يعتمد على طريقة ٤- ٣- ٢- ١ التى تتحول إلى ٤-١-٤-١ فى حالة الهجوم لذلك يشكل نبيل عماد دونجا محورا أساسيا فى هذه الطريقة وإذا غاب لأى سبب سيتأثر الفريق.

جوزيه جوميز يرى أن قلب الدفاع به حمزة المثلوثى وحسام عبد المجيد ومصطفى الزنارى ومحمود حمدى الونش والصاعد أحمد مجدى لكن هل يدرك جوزيه جوميز أن الونش يحتاج لوقت للعودة أولا واستعادة مستواه ثانيا وهل يدرك أن هناك فارق كبير فى المستوى بين المثلوثى وحسام عبدالمجيد ومصطفى الزنارى وأن أحمد مجدى لم يشارك فى مباريات سواء كبيرة أو تحت ضغط الجماهير.

نفس الأمر فى وسط الملعب حيث يرى جوزيه جوميز أن زياد كمال ومحمد شحاتة هما أفضل بديل لنبيل عماد دونجا ووجهة نظرى التى لأقول أنها متواضعة لأنها لو كانت كذلك ما كشفت عنها أن زياد كمال ومحمد شحاتة لايملكان إمكانات دونجا الذى يتميز بالقوة والشراسة فى تنفيذ الضغط والالتحام مع المنافسين ولا أريد أن يكون الدرس قاسيا لجوزيه جوميز إذا غاب نبيل عماد دونجا عن مباريات مؤثرة محليا وإفريقيا.

قد يستطيع زياد كمال أو محمد شحاتة القيام بدور دونجا فى بعض المباريات أمام منافسين أقل فنيا من الزمالك لكن عند مواجهة الكبار سيظهر تأثير غياب دونجا.

فى نفس الوقت يصر جوزيه جوميز على التعاقد مع الجناح الإنجليزى أوفى إيجاريا الذى قام بتدريبه منذ سنوات فى نادى ريدينج لكن الا يعلم جوميز أن أوفى إيجاريا لم يشارك فى المباريات منذ يناير الماضى أى منذ تسعة أشهر وتجهيزه يحتاج إلى وقت قد يكون طويلا وغير متاح فى ظل تلاحكم المباريات وأخشى أن يكون إصرار جوزيه جوميز على ضم اللاعب الإنجليزى مثل إصرارمارسيل كولر المدير الفنى للأهلى على ضم الفرنسى أنتونى موديست الذى حضر ورحل دون أن يترك بصمة.

أخشى أن يدفع جوزيه جوميز سبب عناده لأنه لن يخسر شيئا لكن الزمالك سيكون الخاسر الوحيد.

> يصر جوميز على التعاقد مع الجناح الإنجليزى أوفى إيجاريا الذى قام بتدريبه منذ سنوات فى نادى ريدينج

د. محمد عفيفى

السينما المصرية والعروبة «3-3»

قبيل ثورة ١٩٥٢ ينتج الفنان الكبير فريد الأطرش أحد أفلامه الشهيرة «آخر كدبة»، وهو فيلم غنائى كوميدى خفيف، لكنه عظيم الأثر فى الاتجاه الذى نرصده هنا، وهو النزعة العروبية فى السينما المصرية فى عصر التحولات الكبرى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. ويعتبر فريد الأطرش مثالًا حيًا على فكرة الفن والعروبة؛ إذ يقال إن هذا الفنان، سورى المولد، حاز على أربع جنسيات عربية: سورى ولبنانى ومصرى وسودانى. فى هذا الفيلم الكوميدى الخفيف، يخرج علينا فريد الأطرش بأوبريت غنائى غاية فى الأهمية فى شأن الدعاية للقومية العربية، فى هذه الفترة المهمة بعد تأسيس جامعة الدول العربية، وهزيمة حرب ١٩٤٨ التى عرفت فى الأدبيات العربية بالنكبة. ويحمل هذا الأوبريت عنوان «بساط الريح»، وما لبساط الريح من معانٍ فى الذاكرة الشرقية، منذ حواديت ألف ليلة وليلة، من قدرة على تحقيق الأحلام وإنجاز المستحيل.

بالقطع سيكون فريد الأطرش هو المغنى الرئيسى والملحن لهذا الأوبريت، لكن الذى لا يقل أهمية فى هذا الشأن هو مؤلف الأغنية، شاعر العامية الكبير بيرم التونسى، الذى يعد ظاهرة مهمة فى مسألة النزعة العروبية، وتعريب مصر أيديولوجيًا وسياسيًا؛ إذ يعتبر بيرم التونسى- وبحق- أهم شاعر عامية مصرية، على الأقل، فى النصف الأول من القرن العشرين، رغم أن أصوله العرقية تعود إلى تونس، التى أخذ منها نسبه «التونسى».

على أى حال يعتبر أوبريت «بساط الريح» نموذجًا لتعريب السينما المصرية أيديولوجيًا وسياسيًا. ومع أن موضوع الأوبريت ليس له محل من الإعراب فى بنية وتطور الفيلم، إلا أنه يتماشى مع المتغيرات الفكرية والسياسية التى طرأت على مصر مع ظاهرة تعريب مصر سياسيًا التى أشرنا إليها من قبل. كما يمكننا أن نضيف إلى ذلك مسألة تعريب سوق الفيلم المصرى.

والملاحظ فى الأوبريت، وربما الجديد أيضًا، هو الجمع فى النزعة العروبية بين المشرق العربى و«المغرب العربى»، أى شمال إفريقيا. وهنا نرصد امتداد فكرة القومية العربية، لتشمل كما مر بنا مصر، خاصةً مع نشأة جامعة الدول العربية، ثم امتداد الفكرة- سينمائيًا- لتشمل بلاد المغرب العربى، التى كانت لا تزال فى معظمها تحت الاحتلال.

يبدأ الأوبريت بالغناء لسوريا ولبنان، وهذا من الطبيعى بمكان سواء لبدايات الفكر القومى العربى، أو حتى لانتماء فريد الأطرش، المنتج والمغنى والملحن، إليهما. كما لا يمكن أن ننكر مدى أولوية وأهمية السوق السورية واللبنانية آنذاك للفيلم المصرى.

يشدو الأوبريت فى بدايته لسوريا ولبنان، ويلاحظ هنا الجمع بينهما دائمًا فى إطار فكرة سوريا الكبرى آنذاك، بالإضافة إلى انتماء فريد الأطرش نفسه إلى فكرة وحدة سوريا ولبنان آنذاك. يشدو الأوبريت:

أنا مشتاق وبرانى الشوق... ودواى فى سوريا وفى لبنان
سوريا ولبنان قامات وقدود

وينتقل الأوبريت بعد ذلك ليحيى الجناح الآخر للعروبة فى المشرق العربى، العراق، حيث يشدو لبغداد، قائلًا:

نروح يا بساط على بغداد... على بغداد على بغداد
بلاد خيرات بلاد أمجاد... بلاد خيرات بلاد أمجاد

ثم يغنى الأوبريت لأحد أهم معالم العراق، وسر من أسرار الحياة فيه وهو نهر دجلة:

يا دجلة أنا عطشان ما أقدر أرتوى من حسنك الفتان
هذا الكسروى

ثم يعرج بنا بساط الريح، أو الأوبريت، إلى شمال إفريقيا، بلاد المغرب العربى:

بساط الريح يا أبوالجناحين... مراكش فين وتونس فين
بلاد الحوت والغلة والزيتون
تونس أيا خضرة، يا حارقة الأكباد
غزلانك البيضا تصعب على الصياد
غزلان فى المرسى ولا فى حلق الواد

ويلاحظ هنا أن بيرم التونسى قد اختص تونس بأكبر قدر من المقاطع الغنائية، بل وذكر بعض أهم المعالم بها مثل «المرسى» و«حلق الواد»، وما زال الأصدقاء التونسيون- من جيلنا- يفخرون بهذه الأغنية، وهذا المقطع على وجه الخصوص.

وكان لا بُد أن تكون نهاية رحلة بساط الريح، فى مصر الشقيقة الكبرى، ومقر جامعة الدول العربية الوليدة آنذاك:

بساط الريح قوام يا جميل أنا مشتاق لوادى النيل
أنا لفّيت كتير وقليل ولقيت البعد عليّا يا مصر طويل

هكذا انعكست الأيديولوجية السياسية الجديدة على السينما المصرية، وهكذا أيضًا رسخت السينما للنزعة العروبية، وكانت خير دعاية لها، حتى فى الأفلام الكوميدية الخفيفة. لكن لا يمكن أن ننكر أيضًا البعد الاقتصادى فى هذا الشأن، حيث كانت سوريا ولبنان والعراق فى المشرق العربى، وتونس والمغرب فى المغرب العربى أهم أسواق الفيلم المصرى آنذاك.

> يعتبر أوبريت «بساط الريح» نموذجًا لتعريب السينما المصرية أيديولوجيًا وسياسيًا

د. وجدى زين الدين

من هنا.. يبدأ بناء المواطن

فى قضية بناء المواطن المصرى التى يطالب بها الرئيس عبدالفتاح السيسى ووجه الحكومة بضرورة ذلك، هناك جانب بالغ الأهمية وهو الجانب الثقافى وتأهيل المواطنين ثقافيًا وفكريًا. وهنا يستوجب توجيه هذه الرسالة إلى الحكومة وتحديدًا إلى الدكتور أحمد هنو، وزير الثقافة، بأن المتمعن للأحوال الاجتماعية لجميع الدول يتأكد أن لكل مجتمع إنسانى ثقافته التى تميزه عن المجتمعات الأخرى من خلال ما تحوزه هذه المجتمعات من مكونات ثقافية، ومن عادات قيمية وسلوكية ومعرفية متنوعة، تعكس أنماط العلاقات الاجتماعية لكل مجتمع.

حيث يكتسب الفرد هذه السلوكيات كجزء لا يتجزأ من المجتمع، وبالرغم من ذلك فإن الثقافة فى كثير من الأحوال لم تعد ضربًا من ضروب الرفاهية، بل أضحت لها أهمية بالغة فى مسار التفاعلات الإنسانية والاجتماعية.. لذا أصبحت للمحتوى الثقافى ضرورة حتمية فى إعادة النظر فى تصوراتنا الاجتماعية. ويتباين دور الثقافة فى كونها أحد متطلبات الكماليات الاجتماعية نحو بلوغ مزيد من التطور، وأنها ضرورة استراتيجية وحيوية من ضروريات الحياة المعاصرة.

والمتأمل فى ثقافة المجتمع المصرى يلاحظ أنها تفتقد إلى التماسك والقوة، بالإضافة إلى أنها تعانى تلاشى المناعة الثقافية؛ نتيجة العديد من المتغيرات، ما أدى إلى ضعف هذه الثقافة وتقاعسها عن القيام بدورها فى ضبط التكامل والتفاعل الاجتماعى وفى توجيه السلوك البشرى إلى الأفضل والأحسن.

بعض هذه المتغيرات يرجع إلى مواقف كثيرة، بعضها إلى طبيعة التحولات الاجتماعية، والقوى الفاعلة فى إطارها، ويرجع بعضها الآخر إلى أوضاع القوى الاجتماعية وحالة الضعف والانهيار اللذين أصابا الطبقة المتوسطة. ولا يمكن أن نتغافل الضعف الذى أصاب مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتآكل الذى أصابها بشكل واضح وظاهر.

وشهدت مصر العديد من التحولات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية، وتمثلت هذه التحولات فى تغلب القيم الفردية والكسب السريع وطغيان المادة على القيم الجماعية، رغم تعزيز جهود الإصلاح. كما ترسخت القيم الفردية بديلًا عن القيم الجماعية وسادت القيم المادية التى باتت تعلى من قيمة المكسب السريع على حساب العمل والإنتاج. وتأكدت القيم الاستهلاكية بديلًا عن القيم الإنتاجية. وفى ظل تلك التغيرات المتسارعة فى المجتمع المصرى تزداد أهمية الثقافة ويقع على عاتقها دور كبير فى التغيير الذى طال المجتمع؛ لما لها من قدرة هائلة على التأثير فى سلوك الجمهور، ولما لها من مسئولية مجتمعية فى التوعية والإرشاد للمواطنين.

وقد كان للتغيير الثقافى تأثير قوى فى طبيعة الحياة الاقتصادية والاجتماعية. فكانت، ولا تزال، الثقافة هى التى تسيطر على طريقة التفكير. ولا يخفى على أحد التغييرات السياسية التى حدثت عقب أحداث عام ٢٠١١ من إيقاع تأثير مهم فى المجتمع المصرى الذى شهد حالة اضطراب وفوضى لم تسبق لها مثيل، كل ذلك تسبب فى تأثير ثقافى بالغ. وهناك ارتباط وثيق بين القيم والتقاليد الثقافية والدينية والجغرافية، فالتقاليد الثقافية ذات القيمة لها دورها فى تطوير المواهب والمهارات فى مجالات كثيرة فى المجتمع.

إن الثقافة بهذا المعنى، بما فى ذلك لغاتنا ومعتقداتنا وتصوراتنا وأنظمتنا المعرفية الاجتماعية، تمهد الطريق لحل الكثير من المشكلات وتصنيفها والحكم عليها.

كما أن المفاهيم الثقافية تتحدد وترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعملية الإبداعية، بل إن التطور الثقافى مرهون بالإبداع. وهناك علاقة وطيدة بين المفاهيم الثقافية والمنتج الإبداعى. وقد ظهر ذلك بشكل واضح من خلال مبدعى ونقاد هذه المرحلة.

خلاصة القول إن الأحداث التى مرت بها مصر منذ ٢٠١١ ومرورًا بثورة ٣٠ يونيو وحتى هذه التحديات البشعة الحالية التى تواجهها مصر حاليًا، وقبلها الحرب على الإرهاب وخلافه- كل هذه الأمور تحتاج إلى تغيير جذرى فى الثقافة المصرية المرتبطة بحركة الإبداع المعبرة عن ذلك. صحيح أن هناك الكثير من الأعمال التى ظهرت مؤخرًا سواء فى السينما أو الروايات أو الأغانى، إلا أنها لم ترق إلى الوصول إلى ما حققته هذه المرحلة من ازدهار فى تاريخ البلاد. ولذلك جاء حديث الرئيس عبدالفتاح السيسى واضحًا أن هناك ضرورة ملحة فى بناء الإنسان المصرى ثقافيًا. ولن يأتى إلا بتطوير الفكر والثقافة.

وللحديث بقية.

> حديث الرئيس عبدالفتاح السيسى واضحًا أن هناك ضرورة ملحة فى بناء الإنسان المصرى ثقافيًا.. ولن يأتى إلا بتطوير الفكر والثقافة

ماجد حبته

جديد سكك حديد مصر

مع عدد من مشروعات السكك الحديدية ومترو الأنفاق والطرق ومحاور النيل والكبارى العلوية، شهد الرئيس عبدالفتاح السيسى، صباح أمس، السبت، افتتاح «محطة قطارات صعيد مصر»، بمنطقة بشتيل، التابعة لمحافظة الجيزة، التى تقع على مساحة تقترب من ٦٠ فدانًا، وتتكامل مع باقى خطوط سكك حديد مصر، ومع الخط الثالث لمترو الأنفاق، ومع مسار مونوريل غرب النيل ومسار الأتوبيس الترددى، و... و... وملحقة بها منطقة استثمارية مساحتها ١٠ أفدنة.

عبر الفيديو كونفرانس، شهد الرئيس، أيضًا، افتتاح خط سكة حديد «الفردان- بئر العبد»، الذى يأتى ضمن الممر اللوجستى «العريش- طابا»، بعد إعادة تأهيل وتطوير مرحلته الأولى، بطول ١٠٠ كيلومتر، ووصلة شرق بورسعيد بطول ٤٤ كيلومترًا، ومن المقرر إنشاء خط سكك حديد جديد «بئر العبد- العريش- طابا» بطول ٣٥٥ كيلومترًا، ليبلغ إجمالى الخط ٥٠٠ كيلومتر. وهنا قد تكون الإشارة مهمة إلى أن خط «الفردان- بئر العبد» تم إنشاؤه سنة ١٩١٦، وتم تدميره سنة ١٩٦٧، وبين ١٩٩٨ و٢٠٠١، أعيد تأهيله من الفردان حتى رمانة، بطول ٥٠ كم، لكن، خلال سنة ٢٠١١، تم تخريبه وسرقته بالكامل.

إعادة تأهيل وتطوير خط «الفردان- بئر العبد»، الذى بدأ تشغيله للركاب، مجانًا، اعتبارًا من أمس، ولمدة أسبوع، تضمنت رفع كفاءة كوبرى الفردان القائم، وازدواجه، وإنشاء كوبرى جديد مزدوج، أعلى قناة السويس الجديدة. كما تم رفع، أو استعادة، كفاءة محطات «القنطرة شرق، جلبانة، بالوظة، رمانة، نجيلة، وبئر العبد»، بالإضافة إلى البدء فى محطتين جديدتين، استجابة لمطالب الأهالى، لخدمة الجامعة الأهلية والجامعة التكنولوجية. وقطعًا، سيسهم تشغيل هذا الخط فى تسهيل حركة نقل الأفراد والبضائع من سيناء إلى كل المحافظات، والعكس، وخلق مجتمعات عمرانية جديدة ومناطق صناعية متعددة، ودعم مشروعات التنمية الاقتصادية بمحافظة شمال سيناء، وحركة السياحة داخل مدنها السياحية.

عاد، إذن، قطار سيناء، لنقل الركاب والبضائع، بعد توقف استمر أكثر من ٥٧ سنة. كما تم التخطيط لإنشاء خطوط سكك حديدية جديدة، لربط الموانئ الجافة والمناطق اللوجستية مع خطوط السكك الحديدية الحالية، من بينها خط «كفر داود- السادات»، أول خط سكة حديد جديد يتم إنشاؤه منذ ٣٠ سنة، والذى تم افتتاحه، أمس، ويبلغ طوله ٣٨ كم، وبه عدد ٤ محطات، ثلاث منها لخدمة القرى ومدينة السادات، والرابعة محطة شحن بضائع عملاقة تخدم المنطقة الصناعية بمدينة السادات وميناءها الجاف، و... و... ومن الفريق مهندس كامل الوزير، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير النقل والصناعة، عرفنا أن ١٤٣٠ كيلومترًا من السكك الحديدية تم تجديدها، من إجمالى ١٠ آلاف كيلومتر، هى أطوال الشبكة الحالية.

قائمة طويلة من الإنجازات والنجاحات حققها «الوزير» اسمًا وصفةً، خلال فترة رئاسته الهيئة الهندسية بقواتنا المسلحة، واعتدنا أن نسمع «يا كامل» من الرئيس السيسى، كـ«نداء» يتبعه «بناء». وعليه، أصدر المواطنون قرار تكليفه بتولى وزارة النقل، قبل يومين من توليه المنصب فى حكومة الدكتور مصطفى مدبولى الأولى، وبعد ساعات من ترقيته إلى رتبة «الفريق»، صار وزيرًا بدرجة «جندى»، والصفة، أو الرتبة، استلفناها من رئيس مجلس الوزراء، الذى وصف بها وزراء حكومته الأولى، منذ خمس سنوات، تحديدًا فى ١٣ مارس ٢٠١٩، خلال أول اجتماع أسبوعى يحضره وزير النقل، الذى أضيفت إليه فى الوزارة الثانية، الحالية، وزارة الصناعة، وصار نائب رئيس مجلس الوزراء للتنمية الصناعية.

.. أخيرًا، وبعد أن صارت محطة بشتيل هى المحطة النهائية لقطارات الصعيد، سيتم تخفيف الضغط عن محطة رمسيس، كما سيؤدى إنشاء ورش جديدة لصيانة العربات والجرارات إلى تحسين مستويات الصيانة، إضافة إلى رفع مستوى الخدمات داخل محطات القطارات، والتوسع فى إنشاء المحطات التبادلية بين وسائل النقل الجماعى المختلفة، و... و... والإسهام فى تحقيق التنمية المستدامة، أو «رؤية مصر ٢٠٣٠»، من خلال توفير محطات نقل ذكية تليق بدولة ٣٠ يونيو أو الجمهورية الجديدة.

قائمة طويلة من الإنجازات والنجاحات حققها «الوزير» اسمًا وصفةً

الديوان

المحرر العام: محمد الباز

الدستور

الأحد ١٣ أكتوبر ٢٠٢٤ | ١٠ ربيع الآخر ١٤٤٦

إصدار إلكترونى يصدر عن مؤسسة «الدستور» للطباعة والنشر

العدد 13

د. منى حلمى

مساجد متلاصقة ولا مستشفى واحد مجهز ولا صرف صحى

لماذا تتقدم وتبدع مجتمعات لا يوجد بها أى مؤسسات دينية ولا دور عبادة بميكرفونات عالية ولا داعية دينى، ولا برامج دينية، ولا جمعيات شرعية، ولا أحزاب دينية تتستر بالمرجعية المدنية؟

لماذا تتقدم وتبدع الدول التى لا تنتهك الحريات الشخصية للبشر، ولا يزدرى إعلامها الفن، لا يسب الممثلات ولا يقذف الراقصات بأسوأ الاتهامات الأخلاقية؟

مجتمعات ترتقى، مع أنها لا تغطى الفتيات والنساء بالحجاب والختان والنقاب وتعدد الزوجات، وطاعة الذكور وقوامة الرجال؟

مجتمعات لا يكمن شرفها المقدس فى دم عذرية الإناث، ولا يوجد بها بوليس «آداب»، نظيفة من أكوام القمامة، والتحرشات الجنسية.

فى بلادنا المتخمة بالتدين منذ ولادة الأطفال، أجد مئات الأطفال حفاة شبه عرايا، يبحثون عن لقمة بين أكوام القمامة تحت الكبارى.

أليس هذا «فعلًا فاضحًا»، فى الطريق العام؟ طوابير الفقراء من النساء والرجال، التى تقف على أبواب مستشفيات، ليست مجهزة بأساسيات الإسعاف الطبى، أليست «أفعالًا ضد الآداب العامة»؟

لماذا فى المجتمعات العربية الإسلامية، تُنفق المليارات، على فك أعمال السحر والعجز الجنسى وبناء دور العبادة.. وفى مجتمعات أخرى تُنفق على بحوث قهر السرطان والأمراض المستعصية، وتسهيل حياة المعاقين، وتأهيل المواهب المتنوعة، وإنتاج الفنون الرفيعة؟

لماذا نتكلم عن «عذاب القبر»، لا «عذاب الفقر»، أو «عذاب القهر»؟ لماذا «نرجم الشيطان» ولا «نرجم الوصاية الدينية»؟

لماذا نحن طول الوقت، عكس المجتمعات المتقدمة المبدعة، فى حالة الدفاع المتحفز المستميت، عن ديننا وعن رسلنا وعن أنبيائنا وعن أخلاقنا وعن فضائلنا وعن ماضينا وعن رموزنا وعن آثارنا وعن أبطالنا؟ مع أن أقوى دفاع عن أنفسنا هو أن نتقدم ونرتقى وننتج ونبدع، دون الالتفات لمنْ يتقول علينا.

لماذا نتقدم فى تجديد الخطاب الدينى خطوة واحدة. ثم نتراجع فى اليوم التالى عشرات الخطوات؟

أعتقد أن السبب هو أن تفكيرنا ومشاعرنا «متأرجحة»، بين أحكام السماء، وقوانين الأرض.

السبب، هو أننا «على السطح»، نبدو دولة مدنية. لكننا «فى الأعماق»، دولة دينية، حتى ولو لم يجلس على الحكم، «رجال الله» والمشايخ وأصحاب وأهل السلف، هم يكفيهم الآن الجلوس على عرش العقول والقلوب والمزاج العام.

نحن نتكلم عن ضرورة إقامة دولة مدنية حديثة، لكن الواقع هو أن العقلية المصرية منذ منتصف سبعينيات القرن الماضى حتى الآن، تم «غزوها» و«احتلالها» و«تجريفها» لإنشاء دولة دينية إسلامية إخوانية سلفية وليست دولة مدنية حديثة. دولة قال الله وقال الرسول، وليست دولة قال القانون وقال الدستور، دولة الفتاوى الجاهزة المعلبة الجامدة المغلقة المتجهمة التى لفظها تبدل الحياة. وليست دولة العقل والمنطق والعدالة والحرية والفرح. دولة تكفير وليست دولة مواطنة، دولة ديانة لا دولة وطن.

دولة الحرام والحلال، وليست دولة الصواب والخطأ وحقوق الإنسان. دائمًا نردد أن مجتمعاتنا لا يحدث لها أى تقدم، ما لم تتوافر الإرادة السياسية من الدولة. لقد توافرت الرغبة، والإرادة والضوء الأخضر، من رئيس الدولة شخصيًا، الرئيس السيسى، حينما طالب بتجديد الخطاب الدينى آخر عام ٢٠١٤. وبعد خمس سنوات لم يحدث شىء، إلا بلاغات ازدراء الأديان والإبقاء على خانة الديانة وتضخم الفتاوى، وانتشار القنوات الدينية التى تبث التعصب والتطرف وتكفير الناس والدولة.

وعندما أراد الرئيس السيسى إلغاء الطلاق الشفوى، لحماية الأسرة المصرية، وتخفيف الذكورية الجامدة المتعصبة، فى قوانين الأحوال الشخصية فى عام ٢٠١٧، اعترضت المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية.

وكيف هذه الأحوال اسمها «أحوال شخصية»، وأشخاصها المعنيون، لم يشرعوها؟

إذن نحن أمام «عقلية» دينية سائدة، تحولت من «استشارة غير ملزمة» إلى سلطة تتحكم وتسيطر. وهذا هو لب الدول الدينية.

وهذا هو جوهر الإعاقة الحقيقية، لأى تقدم فى الأفق. وهذه العقلية تتعمق كل يوم بإعلام دينى إرهابى متضخم ممنهج ممول بسخاء من حلفاء الدولة الدينية، فى الداخل والخارج. كل مهمته التربص لأنصار الدولة المدنية، مستخدمًا الشتائم البذيئة والتكفير المحرض على القتل والاتهامات الأخلاقية الزاعقة لمهن معينة أولها الفن.

إن السويد والدنمارك والنرويج وهولندا وفنلندا والصين واليابان، وغيرها، دول لا دين لها، ولا تدرس الدين للأطفال فى المدارس، وهى تحتل المراكز الأولى كل سنة، فى جودة الحياة وسعادة شعوبها وسلامة البيئة والتقدم فى كل مجال.

فى هذه الدول الجرائم و الفساد والإهمال لا تكاد توجد، والسبب أن القانون يطبق على الكبير قبل الصغير، فور حدوث أى مخالفة، وحقوق الإنسان والنساء، مضمونة ومراقبة ومحمية من جميع أجهزة الدولة، التى لا دين لها، بل تفتخر بأنها بلا أديان، مثل الصين.

فى هذه الدول أصغر قرية نائية بها مستشفيات متخصصة ومجهزة على أعلى مستوى من الإسعافات والأجهزة الطبية والجاهزة فى أى وقت لإجراء العمليات الصعبة، وإنقاذ حياة الناس، إما مجانًا أو بمقابل رمزى لا يذكر.

منذ أسبوعين، تابعت جريمة بشعة نفذها شاب فى حق أمه، فى إحدى القرى المصرية. قام الشاب بإشعال النيران فى أمه المسنة، هرع الجيران على صوت الأم تصرخ، وضعوا عليها بطانية، وأبلغوا الإسعاف والطوارئ والشرطة. ولأن القرية ليس بها أى مستشفى أو مركز صحى أو وحدة صحية تعالج الحروق، تم نقل الأم التى وصلت حروقها إلى ٦٠٪ أو أكثر، إلى مستشفى فى العاصمة مجهز لهذه الحالات. بينما توجد فى هذه القرية، الصغيرة، عشرات المساجد والجوامع الفخمة المتلاصقة، بميكروفوناتها ومشايخها.

كلما عرضت على الشاشة صور من القرى المصرية نجد أكوام القمامة على الجانبين وحيوانات ملقاة فى المصارف، والأطفال يلعبون فى التراب، ومعرضون لحوادث الاختطاف والسيارات. لا يوجد مركز واحد محترم نظيف وآمن، يصلح أن يلعب فيه الأطفال، والشباب. وفوجئت بأن أغلب القرى المصرية حتى الآن، ليس بها صرف صحى، ولا يوجد بها مركز لعلاج حتى الوعكات الصحية البسيطة.

أهذه صور مقبولة للبشر، فى عام ٢٠٢٤؟ وكيف نرضى للمصريات والمصريين العيش هكذا، وننام كأن كل شىء تمام؟

أين شغل وأموال الوحدات والمجالس المحلية؟. والله عار علينا هذا.

من بستان قصائدى

غنوا وارقصوا
واضحكوا وامرحوا
اسرقوا يومين من
خزينة الزمن
فما أنتم إلا دُمى
تحركها يد القدر
كما تشاء
غنوا وارقصوا
واضحكوا وامرحوا
لكن الحقيقة عارية
من الأقنعة
فما أنتم إلا حرث
فى الماء
وسحابات مسافرة
فى الهواء